

مجلد الحادي عشر

٧١

(دمشق) تشرين الثاني سنة ١٩٦٦م الموافق ربيع الآخر وجمادى الاولى سنة ١٣٤٥هـ

الكراس الشارد

اخترت هذا العنوان للكلام على كراسٍ مخطوط ظفرتُ به منذ أزمان بين أضياب الرسائل التي تحتوي عليها مكتبة أسرتنا . وكنت كلما تصفحت هذا الكراس او قرأت ابداً منه تجددت لي رغبة في وصفه . وعلان أمره . مؤملاً أن أجد بين القراء من يهديني الى اسم الذي كتبه . او اسم الكتاب الذي منه شرد . وعليه حرّدت . ومما زادني رغبة في نشر خبر هذا الكراس ان مضامينه تتعلق بوصف بعض المدن الشامية الساحلية وذكر أعيان من أهلها عاشوا في القرن الثاني عشر للهجرة اي منذ مائتي سنة . وعدا ذلك فان في عبارة الكراس وبعض كلماته ما يستدعي الاهتمام به والنامل فيه .

اما أسلوب إنشائه فهو الأسلوب المسجع الشائع بين كتاب ذلك العصر : عصر الخفاجي والحجي والنايلسي والشيخ البربر مع ركافة في تركيب بعض الجمل ناشئة عن خطأ الناسخ او أن مؤلف الكتاب كان يكتبه عفو ساعته من دون تأنيق ولا ترويز . والكراس كله اثنتا عشر صفحة حسنة الخط . قليلة الغلط . وكل صفحة منها سبعة وعشرون سطراً . مفصولة الجمل بنقط حبر احمر . وادل جملة من الكراس هي هذه الجملة : (فوق بان . او صوت عود ونعمة قيسان) وآخر جملة منه (وقد قالوا من لم تطربه نغات) . وقد اصاب الكراس رطوبة أبلت اطرافه . ومنرت حواشيه . لكنها لم تمس سطوره ولم تفسد شيئاً من معاني كلماته . ويظهر من شكل الكراس

انه ساقط من كتاب مخطوط . وليست صفحات الكراس ذات أرقام حتى يُعلم ان كان هو من اول الكتاب او من آخره ؟ وما هو مقدار حجم الكتاب بالجملة ؟ .
 وخلاصة محتويات هذا الكراس ان كاتبه كان عند اخيه في مصر وقد حن الى وطنه طرابلس الشام وأحب العودة اليها فركب بحر النيل ثم البحر الملح وصر على حيفا وعكا وصيدا وبيروت وطرابلس . ووصف ما وقع له في كل منها . ومن اجتمع به من اهله . هذا موضوع الكراس . امام موضوع الكتاب الاصلي بجملته فلا يدري ان كان كله وصف اسفار ورحلات المؤلف . او هو تاريخ او أدب وقد جاءت الرحلة المذكورة بين أسطاره . وفي تضاعيف أخباره .

وقد اتفق لنا في تحقيق هذا الكراس مصادفة يمكن ان تكون غريبة لكنها لم تتم . ولم يُفسر بها حلم : ذلك ان المؤلف كاتب الكراس تعرض لذكر الامير حسن بن الاعوج حاكم حماة المتوفي سنة (١٠١٩) للهجرة (١٦١٠ م) واتى على بعض خبره . ولما راجعت ترجمة هذا الامير في (خلاصة الاثر) للحبي وجدته يقول في آخر الترجمة ما نصه : (ومع شهرته «اي شهرة الامير» التسامة . وأدبه الغض لم يذكره احد من المؤرخين ولم أظفر بشيء من خبره الا في وريقات بخط ابراهيم رامي وهذا من أعجب العجائب .) فظننت اول وهلة ان الحبي انما عني بالورقات وريقات هذا الكراس الذي انا في صدد وصفه منذ الساعات ويكون ابراهيم رامي هو صاحب الكراس . ثم لم ألبث ان ثابت اليّ نفسي فقلت : ان ابراهيم رامي كان قبل زمن الحبي بالطبع . وحوادث كراسنا الشارد وقعت في القرن الثاني عشر اي بعد الحبي بنحو قرن كما يفهم من تراجم بعض الاعيان المذكورين فيه . على ان ما اقتبسناه من الحبي (وريقات) ابراهيم رامي في ترجمة الامير حسن كلام مسهب مفصل . وما جاء في (وريقات) كراسنا نبذة من خبره . وقطعة من شعره . هما بعض ما جاء في ترجمة الحبي . وهاتين نذكر الآن تلاخيص من كراسنا او (وريقاتنا) مع اقتباس جمل وعبارات منها تكون ذات مغزى في أسلوبها الانشائي او في فائدها التاريخية :
 وصف الكاتب قلّقه وحنينه الى وطنه . ثم يبت الاستخارة عملاً بالسنة فدلّت على البشارة بالسفر . قال واذا ذاك : « ضمنت العزم على التوجه والذهاب . وألويت نحو

طرابلس الفيحاً الركب» وكان يخفي سفره إشفافاً من غُصص الدهر وعوائقه .
 قال : « واتفق وجود صديقنا الحميم . ومحبنا الذي على صدق الوداد مقيم . من اذا
 ذكرت الاماجد ذو الشيم التي والاخلاق والايادي
 والكارم والكرم حضرت ^(١) الاخ نتيجة الزمان . مسير فُلك
 الامن في بحر الامان . مشّت شمل اهل الكفر والطغيان . وقامع الفئة الباغية
 اهل الحرب والعسوان . وحامي ضيق الدعالة (كذا) كل آن . جناب سليمان
 قوبطان . حماء الله وحمل به الملك كما تجمل الملك بآل عثمان » . فأخبره
 صاحبنا بعزمه على السفر الى بلاده وان يكون بصحبته في الغليون ^(٢) . فقبل (وأقسم بالله
 ان هذا الامر غاية ما يتناه) . و يظهر ان المؤلف كان ضيقاً على بعض اصدقائه في
 احدى مدن مصر فما كان يسمح له بالسفر ، لذلك قال : « أظهرت في نازل الى العذبة
 لاجل نوديع شقيقي لكونه قصداً توجه للبلاد فتوجهت الى العذبة وقدر كبت
 ظهر النيل . واخذت أتودع من رائق مائه العذب السلسيل شعر :

(شاطئي مصر جنة ما مثلاً في بلاد)

(لاسيما مذكر خرفت بنيلها المطرد) الخ الخ .

ثم ذكر قطعة من شعره في وصف النيل وهي قوله :

(أنظر الى النيل الذي ظهرت به آيات ربي)

(فكأنه في فيضه دمعي وفي الخفة ان قلبي)

ثم قطعة من شعر القاضي الفاضل في وصف النيل وقطعة من قول احمد بن
 فضل الله العمري . وقطعة من قول ابراهيم بن عبدون . ثم قال : « فلما وصلت
 للعذبة وقد عزمت فيساً على البهات اذا انا بقياسة ^(٣) نخدر مع التيار . ولم

(١) هكذا بالتاء المفتوحة وقد تركناها على ما كتبت كما تركنا غيرها من اغلاط

الاملاء . (٢) ضرب من السنن ويكون كبيراً كما يأتي . (٣) القياس اسم لضرب
 من السفن ايضاً وقد ذكرها الشيخ السابسي في رحلته الطرابلسية منذ عدد اسماء السفن
 بمسابقة ما شاهده منها في ميناء طرابلس الشام .

نزل نفعدر حتى جاءت ورست بجانب الدار . فاذا فيها صديقان : جناب اخينا في الله
الحاج بكري فتح الله . وصديقنا الاحبجد . حضرة مولانا الشيخ احمد » ثم ذكر انها
جاءا لينعاه من السفر وان يرجع الى اهله وعياله . وهذا يدل انه كانت نزبلاً مع
اهل بيته في مصر وموطنه الاصلي طرابلس . ثم لما اصبح الصباح ودعها ونوجه نحو
الغليون (غليون سليمان قوبطان) قال : « فلما وصلت الى ما بين الموجتين . وملتقى
البحرين العظيمين . وجدتهما كأنهما ملكان الخ . وقد غنى بالبحرين بحر النيل حيث
يصب في البحر المتوسط » قال : « فافتحمت ذلك الجحاج . وقد التقت النقيرة ^(١)
تلك الامواج » . ثم وصف هول ما لاقى في خروج النقيرة من مضيق فم النيل الى
وسيع البحر حتى وصل الى الغليون ضحى النهار . فلتقاء صديقه سليمان قوبطان .
وأطلق لقدميه المدافع وهذه المناسبة عاد الى مدح القبطان والثناء على بهض أياديه .
وقال انهم مكثوا على البغاذ (البوغاز) ثلاثة ايام ثم اقتحموا السجح ضحى النهار . ولم
تغرب الشمس حتى غابت أراضى مصر عنهم فأشد :

(وخلفت مصرأ من ورأى . وخطري بمصر . ولكن ابن من ناظري مصر)
(بلادها بها ما يشتهي . متيسر على جيبها يا حبيذا اللف والنشر)

ثم قال : « فلم نزل والغليون بنا يسير حتى رمينا بمينة (ميناء) حيفا بعد
خمسة ايام . مضت كأنها أضغاث احلام » . وبات تلك الليلة منظرأ الصباح للنزل
الى (عكا) فلما ألقتهم الفلوكة على الساحل وجد جمعا غفيرا من الالهائي وبينهم
صديقه (السيد احمد اليلداوي) فسأله عن سبب قدمه الى عكا فأخبره بخبره قال :
« فشكى لي انه له نحو الشهر مقيم . ولا يجد في عكا صديقا ولا نديم . الا الفكر
والاسى . والوحشة في الصباح والمساء . وسبب هذا الفكر والكروب العظام . اختلاف
حكاهم البلاد وانقطاع طريق الشام » . ويفهم من هذا ان اليلداوي المذكور من
اهل دمشق ^(٢) . ثم ان الكاتب سأل اليلداوي عما اذا كان في عكا زيارات (اي مزارات)
تجلب الفرح والمسرات . فذكر له مقام نبي الله صالح فذهب الى زيارته . ومكث

(١) النقيرة ايضا من اسماء السفن وذكرها النابلسي في ما ذكر (٢) نسبة الى قرية يلد بالفروطة

في عكا بقية النهار وودع صديقه السيد محمد البداوي وعاد الى الغليون . قال :
 « ومن جملة التيسير وجود رجل في الغليون من أبناء حلب . ممن له رقة ولطافة
 وأدب » فكأننا بقطعات الوقت في المناشدة والمذاكرة فسأله الحلبي يوماً عن
 قول القائل :

(آه من لي بظبية فتانه وهي تلهو ومهجي ولهانه)
 (ذات ثغركأته اللؤلؤ الرط - بحكي كفتها حاكى بنانه)

ما المراد بمحاكاة ثغرها لكنها ومحاكاة أيضاً لبنان الكسف ؟ فأجابني : بأن ثغرها
 يشبه كفها بالناسب والاستواء ويشبه بنانها بالجمرة قال : « فيكون الشاعر قصد
 تشبيهين : تشبيه أسنانها وتشبيه شفقيها على ما يظهر » ثم ذكر أن هذين البيتين
 هما مطلع قصيدة مشهورة للامير حسن بن الاعوج حاكم حماه وسرد القصيدة بحجاساتها
 وأثنى على الامير المذكور وروى خبره الذي ذكره الحلبي خاتماً به ترجمته . مذ كان
 مريضاً مثقلاً وقد بشره بورود توجيه إمارة حماة عليه من الباب العالي فقال ما قال
 وانشد الايات الثلاثة لنفسه ومنها :

(العندليب الوردي كان امامه ^(١) عذرا غنى على النسرين)

(راجع ص ٥٠ جزء ٢ من خلاصة الاثر) . ثم عاد المؤلف الى ذكر الاديب
 الحلبي الذي صادفه في الغليون فقال : « وكثيراً ما كنت أنسلي بالباط هذا الظريف
 الاديب . واستملي منه كل خبر رائق . ومعني غريب . وكان له يد في طب الابدان .
 ولا سيما في علم العين وفراسة الانسان . واما في الجراحة والشفق والمشرط . فهو
 عذرها لكنه لسوء الحظ أفرغ من حجام سباط . وفي اليوم الذي عزمنا فيه على
 السفر جاءت شخيرة من عكا تجدد القذفة ^(٢) فحونا . فتناولت لها الاعناق . لكشف
 حقيقة الخبر . فلما دنوا الى الغليون خرج منهم رجل عليه سيما السجامة غير انه كالواله الذي
 به جنون فلقدم وسأل عن رجل له علم باستخراج الحصى من المشانة ويكون له معرفة

(١) وروى كان سميره . (٢) كذا بالرجال المهملة وصوابه بالمججمة . والقذف
 والجذف والجذف كله أن يسير الملاح سفينه بالمقذف والجذف والجذف .

وإحاطة وديانة . فنقدم له صديقنا (الخلبي) وقال له هذا امر خطير . فان كنت تفشذ ضالة فقد وقعت على خبير . غير انه على قدر معرفة الانسان . ثنفاوت الاثمان . فبين لي كم ندفع من النقود . ومجمل الامر لا يبدل الجهود . فوقع الاتفاق . لدى جمع الرفاق . على دفع مائة وخمسين قرشاً رومية . غير الذي يصحبها من الهدية . فتملل وجهه بالفرح والاستبشار . وودعنا وسار . ثم وصف المؤلف تلذذه بمسامرة هذا الاديب الطيب الخلبي . وأسفه على مفارقتة . ثم قال : « وفي ذلك النهار مع النغليس . حلّ الغليون وحلت المراكب والقواويس ^(١) . فلم نلبث الا قدر ساعة او ساعتين . حتى أظلم الجو وغابت الشمس عن العين » . ثم وصف العاصفة وهياج البحر وتعالى الامواج وانسكاب الامطار وضراعتهم الى الله . وأنشد في ذلك اشعاراً ثم قال : « ولما اشتد الحال . وزادت الأوجال اقبلت علينا القواويس والمراكب . ونزاحوا ^(٢) علينا من كل جانب . وقالوا للقبطان ايه (ابها) الامير . قد اشتد الحال والخطب كبير . فارجع بنا من حيث اتينا . وانظر بعين الرحمة اليها » . فرجع بهم وبعد قليل هدأت العاصفة فاستأنفوا السير حتى كشفوا قلاع حيفا . ثم وصلوا الى صيدا . قال : « فقال لنا القوبطان : هل لك أرب بالدخول الى حماما . والتلّي برؤية بقاعها ورياحها ؟ فقلت : اما انا فلا حاجة لي بها . والامر اليك . فقال الأولى الدخول الى بيروت قبل هجوم الظلام . ثم بوج ^(٣) عن صيدا وقوَّص لها مدفعاً تحية السلام . ولم نزل في شدة سير . نسابق الرياح والطير . حتى صرنا على رأس بيروت قبيل غروب الشمس . وقتلنا قد زال النصب واطأأت النفس . فعند ذلك سكنت جميع الارياح . وقررت

(١) الظاهر انه يعني بالقواويس ضرباً من السفن ولعل واحده (القياسة) التي مرت . (٢) بظير من هذا ان الغليون هي السفينة اخصاً بركوب القبطان ويرانقاها سفن أخرى للركاب اذ للجنود وقد سماها القواويس والمراكب ومجموع ذلك هو العمارة والاسطول ولدينا الارماذة وكلها كلمات أعجمية ماعدا العمارة . (٣) كلمة النبويج ما زالت تستعمل بين ملاحي بلادنا بمعنى العدول عن الرسو في مكان معين من الساحل .

حتى لا تجد شيئاً يطفيء المصباح . وصادفنا ثمة تيّار . لكثرة جريه بقص المسمار .
وهو لنا نحو البر جاذب . وقد دار علينا الراس من كل جانب . وليس لنا هواء
البحر ينجينا . الا التيّار نحو البر يلقينا . فلم نزل في عناء وكروب . حتى يسر الله
لنا برح طيبة بعد الغروب . فنقدنا من الراس ودورناه . وراء ظهرنا ألقيناه . فبدت
لنا بيروت من خباها . وحصل لنا السرور لحسن مرآها . فتوجهنا لجزيرة ؟ بيروت
وقصدناها . وبعد العشاءين أخذ القلوع والمرسمة ثمة ألقاها . فنزلت من القامات نحو الستين
ولم تحصل القرار بيقين . فأخذ القبطان لذلك الفلق . وكاد من شدة الغيظ ان
يتزق . وامر بأخذها فدارت اللوالب . وتزاحمت على ذلك اللاوند^(١) بالماكب .
وبتنا بليلة نابغية . وأحزان بعقوبة . نزاعي الافلاك والنجوم . ونخشى ان يكون لنا
على البر هجوم . نسبح لهيصى^(٢) وليصى أنعام . تجلب الفكر وتذهب المنام . ثم ذكر
ان الحالة هدأت في الصباح فركبوا الفلوكة الى بيروت فرأوا في مينائها أمماً لا تكاد
تجصى . ثم قال : « فلما دنونا بفلوكة القبطان . وعلى رأسنا منشور يبرق العز
والامان . ظن جميع من حضر ان هذا القبطان » . ثم لما عرفوهم . بادروا اليهم
وحيوهم . وكاد يقع القتال بينهم على أخذ أنقالمهم . قال : « فأصلحت بين كل فريق .
ونحن نسير في قارة الطريق » . وطريقة الصلح الذي قرره بينهم هو ان تكون أنقالمه
في بيت زوجة والده « لان الجبر مطلوب . وفعل الصواب ليس عنه مرغوب . وبعد
ذلك نساوي بينكم بالسهام . ولا نفضل احداً على احدايه (ايها) الكرام » ثم استحسن
قبل كل شيء ان يزور قبر والده في المصلى ؟ فتوجه اليه وبصحبه جمع أخيار . فقرأ
القرآن ودعا له بالرحمة والغفران . ثم وصل رحمه بزيارة زوجة والده . قال : « ثم في

(١) يظهر أن المراد بها النوتية والملاحون ولعل الكلمة طليانية الاصل كسائر
كلمات البحر الشائعة في الساحل الشامي . (٢) هي ايضاً من الكلمات التي يقولها ملاحو
الساحل حين مزاوله عملهم لكن يفهم من سياق كلام الكاتب انهم كانوا يقولونها
عند تسخير السفينة في البحر وعمدنا بهم في طرابلس يقولونها حين إخراج السفينة الى
البحر ليرميها او جلفطتها او الخوف عليها من ان تجطمها الامواج .

ثاني الايام . قدم لزيارتنا خلاصة الاحباب الكرام . جناب صديقنا الحاج محمد
البشكار . بلغه الله من الخير الارطار . وكان هذا الخالص الصديق . من اعيان
بيروت عن تحقيق . وخاله ذو الطبع السليم . جناب اعز احبابنا الحاج ابراهيم .
هو (اي البشكار) الذي بنى لاهل بيروت من المجد بيتاً رفيع العباد . ومن مكارم
الاخلاق حصناً أسس دعائمه على الكرم والسماحة لها أشاد . فلما دنى وسلم . . .
أنعشني وذكرني الايام التي مضت بصحبة خاله رجحانة الفؤاد ثم اعتذر
عن التأخير ودعانا للضيافة فأجبناه فعمل لنا يوماً كأيام الخلافة
. وثاني يوم أضافنا الحاج قاسم درويش وفي ثالث يوم أضافنا الشيخ
ابراهيم الرشيد وفي اليوم الرابع تجهزنا للسفر ودعنا الاحباب . ودعونا الله
ان يهيئ لي في الصباح الدخول الى اوطاني . ومربي الذي مطايا السعد اوطاني .
ويعني به طرابلس الشام . ثم أبدي التشوق اليها وأنشد اشعاراً في معنى حب الوطن .
قال : « ثم بعد ان اغلظنا الوقت وصلينا . سهرنا على قدم التيسير والقلوع فتحنا وماتوا نينا »
ثم وصف طول تلك الليلة التي بالنظر في صلتها الدخول الى بلده . ثم قال :
« فلما أسفر الفاضح لمعت بوارق الانوار . وابتدت طرابلس الغرا من تحت
الستار » . ثم وصفها ووصف رايضاها وابعادها السبعة وما قيل فيها من الاشعار .
وأطال في وصف حب الوطن ولذة الاجتماع بالاهل والخلان . الى ان قال :
« فلما تأهبنا للنزول . وآن لنا بجمع الله الوصول . أهبط لنا جناب أخينا سليمان
قوبطان فلوكنه المذمبة الأحزان . وأمر بنشر الرايات والاعلام . وانفج فوق
رأسنا بالفلوككة صبحي الاسلام . وقام بذاته المأنوسة . لازالت بعين عناية الله
محروسة . يهيئ أنفالتنا . وبنزل الى الفلوككة مع غلته رحالتنا . فلما بنا استقر بنا . وعشاء
السفر وراء ظهرنا ألقينا . قوَّص لنا ثلاث مدافع . وقد زال كل كرب ومانع » .
ثم وصف دأوهم من المينا حيث اجتمع الناس بتطالون الى الفلوككة ويتجادلون فيمن هو
القادم فيها ؟ قال : « ولم يخلف منهم انسان . ان الذي هو فيها هو القبطان . غير
انه وقم بينهم خلاف . هل أنا بصحبة القبطان ؟ أو في الغليون مقيم مع الاخوان ؟ » .
ثم وصف ما عراهم من الفرح مذكراً في الفلوككة وطوافهم حوله للسلام » . ثم قال :

« فتأملتهم فلم أجد الا محباً أو حبيباً . أو خليلاً أو صديقاً أو قريباً . ويقدم القوم جناب الاخ الشقيق . وبصحبه أعز خليل . وأصدق قريب . جناب منخر المدرسين الكرام . ابن الخالة السيد محمد افندي النقيب ^(١) . فتوجهنا الى باب الخان ^(٢) . وقد تراحمت علينا بالسلام الأحاب والأيخوان » . ثم وصف ضيق باب الخان بالجمع المزدحم الذي أحرق به كلحة البصر . فأشار اخوه عليهم بالنهوض على ظهر الدواب والتوجه الى البلد . فركبوا اليها . ثم وصف الرضا والبساتين التي بين المينا والبلد حتى وصلوا الى منزلهم . وكان اخوه قد هياً لهم الغدا فتعدوا وقضى بقية النهار في استقبال الزائرين . ثم بعد ثلاثة ايام أخذ اهله واخوانه يتسابقون في إقامة المآدب له وجعل يصف مكارمهم ويثني عليهم وقد خصّ بالذكر كلاً من الشيخ عبد الله الخليلي مفتي السادة الشافعية والشيخ علي افندي الكرامي مفتي القادة الحنفية . ثم وصف احفناءهما واحفائها به وصفاً طويلاً . وقد توفي الشيخ علي الكرامي الموما اليه سنة (١١٦٢) هـ (١٧٤٨) م فتكون زيارة كاتب الكراس لبلده طرابلس في أواسط القرن الثاني عشر للهجرة . اما زيارة الشيخ النابلسي لها فكانت في فاتحة القرن المذكور قال كاتب الكراس : « ولم أزل بغرر لفظها أشنف الاسماع . وأروح القلب المرتاع . الى ان ورد علينا صديقنا الامجد . جناب الشيخ مصطفى المقيمي اسعد . فأزلناه منزلة العين من الانسان . وأحللناه محل الروح في الأبدان . ولم نزل نتملى بأحاديثه . . . حتى وفد علينا زمن الربيع بانواره الخ » . وانتهى كلام الكراس في وصف ربيع

(١) أميرة النقيب هذه كانت معروفة في طرابلس الشام قديماً منها مفتي طرابلس السيد هبة الله افندي الذي اجتمع به واثني عليه الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الى طرابلس سنة (١١١٢ هـ - ١٧٠٠ م) وقد انقرضت هذه الأسرة في أواخر القرن الثاني عشر ولم يبق منها الا امرأة أرادت ان تتجج فتزوجت بالشيخ منصور جد أميرة المقدم المعروفة اليوم في طرابلس لاجل أن يمجج بها . (٢) هو خان قديم واقع على شاطئ البحر في ميناء طرابلس وكان منزلاً للمسافرين قديماً وهو اليوم مركز للتجار والتجار لوقوفه أمام دائرة الكرك الكبري .

طرابلس الشام . والشيخ مصطفى اللقيمي الذي قال الكاتب انه زاره لسلام عليه .
 قد ترجم له المرادي وهو ليس من أعالي طرابلس وإنما هو دمياطي الاصل نزل دمشق
 ومات فيها سنة (١١٧٨) هـ (١٧٦٤) م . وقد قال المرادي في صفة : « الشيخ العالم
 الفاضل الفرضي الحسوب الكامل الأديب الناظم الجليذ النقاد العابد النبي الماجد
 الأوحد الزاهد العفيف الخ » . ولم يلقبه المرادي بأسعد كما لقبه كاتب الكراس حتى
 شككت في انه هو ولم أجد في اشعار اللقيمي التي ذكرها المرادي قطعة قالها قبيل
 وفاته بساعات أودعها تاريخ وفاته ليكتب على قبره فلم تبقى شبهة في أن لقيمي المرادي
 هو لقيمي كراسنا والبيت الاخير هو قوله :

(ما ذا نوى قبر اللقيمي أرخوا مستنح للعفو أسعد مصطفى)

سنة (١١٧٨) هـ

هذا ما استحسن نشره من التعليقات على ذلك الكراس والتعريف به . فلعل
 بعض القراء يرشدنا الى البيت الذي منه خرج . والعش الذي فيه درج . واذذاك
 ينظم الشمل . ويجمع الفرع بالأصل .

المغربي

مركز تحقيقات كاتوليكر علوم إسلامي



الغريب الفصيح في العامي

— ٣ —

(٣٨) رشم مرشوم — يقولون رشم الببادر اذا ختمها بالرشم والرشم عندهم هو ما يختم العشارون به الحب على الببادر اذا تأخر كياله او وزنه والحب مرشوم مختم بالرشم . وفي اللغة رشم الطعام ختمه كما في القاموس . وفي العين الرشم بالفتح خاتم الطعام وسماء في القاموس الرّوشم وزان جعفر وفي غيره رشم كل شيء علامته وفسره في الصحاح باللوح الذي يختم به الببادر .

(٣٩) رَفَلٌ مُرَفِّلٌ رِفْلَاءٌ — ويقولون فلان رفل بفتح فكسر وزان كفف وهو مرَفِّلٌ كمذكر وهي رِفْلَاءٌ وكل ذلك معناه قبح اللبسة والعمل . وفي اللغة عين المعنى كما في المخصص ورَفَلٌ كنصر وفوح خرق باللباس وكل عمل فهو ارفل ورفل وهي رِفْلَاءٌ ورِفْلَةٌ كما في القاموس . الرفل الذيل عن المبرد واذا لم يحسن اللبسة صار ثوبه كالذيل .

(٤٠) رم رمرم — ويقولون رم القمّة لا كما بجر كمة شفتيه المضمومتين ورمرم الطعام مثله ونقال غالباً للشيخ الذين سقطت اسنانهم . وفي اللغة رمت البهيمة تناولت العيدان فحما كارتعت والشئ اكته . عن القاموس وفيه ايضا وكان سا كئنا فترمرم اي حركناه (٤١) رهدن ، لهدن ، رهذه ، لهدنه — ويقولون فلان نلهدن وعمل لهدنة في الشئ النلافي اذا نوافى وكسل عنه وكثير يقولون ترهدن . وفي اللغة عن المخصص قال الطوسي الرهدل والرهدن الضعيف . وفي القاموس الرهدنة الابطاء .

(٤٢) على الربق — ويقولون فلان على الربق اذا لم يتناول طعام الصباح وما زات على الربق . وفي اللغة عن ابن السكيت اتبته على ربق نفسي واتبته رِبَقًا اي لم أأطعم ورجل رِبَقٍ على الربق .

(٤٣) زعب مزعوب — ويقولون زعبت فلاناً اذا طردته وهو مزعوب مطرود . وفي اللغة الزعب الدفع قال ابو عبيد ومنه سيل زاعب وهو الذي يزعب بعضه بعضاً اي يدفع وقال ابو حنيفة زَعَبَ السيل تدافعه . والطرد والدفع مناسبا للمعنى .

(٤٤) زعط 'يزعوط' — ويقولون زعط على فلان اذا صرخ به وصوت عليه وهو يزعوط اي 'يُصوت' . وفي اللغة زعط الحمار صوت قاله المجد .

(٤٥) زعل زعلان — ويقولون زعل فلان فهو زعلان اذا اضطرب فكره ولم ينشرح صدره لامر وزعل عليه اذا كدر خاطره فأعرض ونأى عنه . وفي اللغة كما في الاساس اصاب المر يض زعل شديد وعلز اي اضطراب وهو بفتح الاصل الذشاط والاشتر وهو مشهور بين الائمة ومن ذلك سموا زعلاً وزعلاناً اما ما كانت بمعنى الاضطراب فهو مقلوب علز المشهورة بهذا المعنى .

(٤٦) زغرغ — ويقولون فلان زغرغ نيته في الامر الفلاني اذا تردد في نيته على غير الظاهر منها واذا لم تكن صريحة فلا يخفى منها غير ما يظهر . وفي اللغة عن الاساس زغرغ في كلامه لم يبين معناه يقال لا تزغرغ وبيّن الحق .

(٤٧) زكرة — ويقولون للجد الصغير الذي بدخ فيه الابن زكرة والجمع زكر كبركة وبرك . وفي اللغة قال ابو حنيفة في كلامه على الذوارع . الزقاق الصغار وهي ايضا الزكر الواحدة زكرة وقال صاحب العين تذكر الشراب اجتمع ولعلها منه .

(٤٨) تزاع 'مزاع' ، تسلع ومسلع — ويقولون للثوب اذا تشقق لوهن في نسجه تزاع وهو مزاع وزلعت الثوب يبدى اذا شدته حتى وهي نسجه وتباعدت لحته وكثيرون يبدلون الزاي سناً فيقولون تسلع وهو مسلع . وفي اللغة تزاع تشقق كما في القاموس ومنه قولهم شقة زلعا اذا كانت مشققة وفي الاساس تزاعت بده تشققت وفي الاصل الزلع شقاق في القدم والكف وعن الخليل الزلع الشق .

(٤٩) زوّق 'مزوّق' — ويقولون هذا الشيء مزوّق اي منقش ومزين . وفي اللغة حكى ابن سيده عن ابي عبيد بيت مزوّق اي مصور لان اهل المدينة يسمون الزئبق الزاوق فكأن البيت سمي بذلك لانه زين بتصاوير يحاطها الزادوق . وفي القاموس لانه يجعل مع الذهب فيطلي به فيدخل في النار فيطير الزادوق ويبقى الذهب ثم قيل لكل منقش ومزين مزوّق .

(٥٠) زول — ويقولون فلان له كسم وزول وزان قول اي هيئة حسنة . وفي

اللغة عن أبي زيد في النوادر الزول واحد الازدال وهم الظرفاء والاثني زولة . وفي الأساس وفي زول خفيف ظريف .

(٥١) سخام مسخّم — ويقولون فلان مسخّم مشعر اذا سوّد وجهه او جسمه بسخام القدر ويعنون بسخام القدر سواده وفلان به سخام ولطام اي مصيبة وذلك كما جرت العادة عندهم ان من فقد عزيزاً عليه او حلت به مصيبة يسود وجهه بسخام القدر ولذلك يقولون في مقام الدعاء على الشخص سخام بسخمه وشخار يشخره لان الشخار ايضاً سواد القدر او كل سواد يكون من الدخان والنار . وفي اللغة سخّم وجهه اي سوّده والاسم السخّم محرّكة . وفي الصحاح السخمة السواد . وفي المصباح السخام كغراب سواد القدر وسخّم الرجل وجهه سوّده بالسخام ومثله عن الأساس .

(٥٢) ساخن (صاخن) به سخونة سخنة — ويقولون فلان ساخن وعليه سخونة وركبته سخنة يريدون بذلك كنه الحى وربما بدل بعضهم السين بالساد فقالوا (صاخن) وفي اللغة كما في القاموس وتجد سخنة مثلثة وتحرك وسخسا بالفتح وسخونة بالضم حى او حرّاً .

(٥٣) مسرولة — ويقولون للدجاجة مسرولة اذا نبت على ساقها الريش . وفي اللغة كما في المختص قال صاحب العين طائر مسرول — ألبس ريشه ساقه . وفي القاموس حمامة مسرولة في رجليها ريش .

(٥٤) سَكْرٌ ، سَكْرَةٌ ، سَكْرٌ — ويقولون سكر البساب اذا أوصده وسموا السَكْرَةَ بضم فتشديد للخشبين المصّابين اللتين يقفل بهما الباب ويقال وضعه تحت السَكْرَ بكسر فسكون وربما عمّموا ذلك لغير البساب . ويقولون سَكْرَ الباب اذا سدّ منزهه بالسكر وهو حديدة ذات لولب يرفع ويخفض . وفي اللغة عن صاحب العين السكر بالفتح سدك بثق الماء ومنفجرة والسكر بالكسر امم ذلك السداد الذي تجعله سدّاً للثق ونحوه وقال ابن السكيت سكرت النهر اسكره سكرّاً (من باب نصر) سدّدته وقال ابن دريد اصله من سَكْرَتِ الرياح اي سكن هبوبها .

(٥٥) سوسة — ويقولون صار لي في هذا الامر سوسة وهذا الشيء معه سوسة اذا دأب عليه حتى صار من طبعه وصار معي سوسة بهذا الشيء اي صار لي به ولع .

وفي اللغة الفصاحة من سوسه اي من طبعه والكرم من سوسه كذلك . وفي القاموس السوس بالضم الطبيعة .

(٥٦) شخب شخباً — ويقولون شخب اللبن شخباً (من باب نصر) اذا خرج مندفعاً من الضرع متصلاً بالاناء . و يطلقون الشخبة على الدفعة منه . ويقولون شخب دم الذبيحة اذا خرج من الودج كما يخرج اللبن من الضرع . وفي اللغة الشخب بالضم ما خرج من الضرع من اللبن اذا احتلبته . والشخبة الدفعة منه والجمع شخاب وعن ابي عبيد شخب اللبن يشخب ويشخب من باب فتح ونصر . وفي العين الشخب ما امتد من اللبن حين يجلب متصلاً بين الاناء والطبي . وقال ابن دريد وصاحب العين الشخاب بالكسر اللبن (لغة حميرية) وكل شيء سأل فقد شخب .

(٥٧) شفات — ويقولون لما تذر به الريح من خيوط المطر فيضرب الابواب ويدخل في النوافذ شفان بالكسر ثم فاء مشددة . وفي اللغة شفان ككشنان بافتح الريح . وشفيفها بردها قاله ابو حنيفة . وفي القاموس غداة ذات كشف أن يرد الريح . وفيه والشف يكسر الريح وفي الاساس ونقول عند هبوب الشفان نخلص الشفنان .

(٥٨) شمالة ، شمائل ، شمل — ويقولون شمالة بالكسر لما يقبضه الكف من حزمة الحشيش ونحوه . ومنه شمالة الحصاد لما يقبضه بكفه من الحصيد ويجمعونها على شمائل ويضيفون منها فعلاً فيقولون شمل السنبل اذا جمعه شمالات . وفي اللغة قال ابو حاتم وكل قبضة قبض عليها الحاصد تسمى شملاً (بالكسر) وفي القاموس . وككتاب كل قبضة من الزرع يقبض عليها الحاصد .

(٥٩) شنفوب ، شغب ، شناعيب — ويقولون للغنص ينفرع منه غصن صغير معترضاً شنفوب (بالفتح) . وشغب الغصن صار له شنفوب وشناعيب وهو مشنغب . وفي اللغة عن ابن دريد الشنفوب (بالضم) أعلى أغصان الشجر . وفي القاموس الطوبل الدقيق من الارشية والاغصان .

(٦٠) شاط ، شائط — ويقولون شاط القدر اذا احترق فيه الطعام وشاط الطعام فهو شائط اذا كان فيه طعم من اثر الاحتراق وشيظ الطعام اذا صيره شائطاً .

وفي اللغة عن صاحب العين شاط شيطاً وشباطةً وشيطوطاً احترق . وأشطته وشيططته أحرقتة ومثله عن القاموس . وفي المصباح شاط يشيط احترق .

(٦١) شوص ، شوصاً ، شوصاء — ويقولون شوص يشوص (من باب ضرب) شوصاً (محركة) وغينه شوصاء والشوص ان يضرب انسان العين الى الاعلى . وفي اللغة كما في القاموس الشوصاء العين التي كأنها تنظر من فوق .

(٦٢) صَبَّرَهُ ، صَبُّور فهو مصبَّر — ويقولون صَبَّرُوا الحنطة صَبُّوراً واحداً وهذا الحب مصبَّرٌ . وفي اللغة صَبَّرُوا طعامهم جعلوه صَبْرَةً . وفي الأساس وعنده صبرة من طعام وصبر والمال بين يديه مصبَّر . وفي القاموس الصبرة بالضم ما جمع من الطعام بلا كيل ووزن وقد صَبَّرُوا طعامهم .

(٦٣) صَبْرَةٌ — ويقولون صَبْرَةٌ بضم ثم باء مشددة وزان فبئة يريدن بها صبرة الحب من حنطة وغيرها . وفي اللغة الصَبْرَةُ الكشبة من الطعام وغيره قاله ابن دريد (والكشبة بالضم) طائفة من طعام وتراب وغيره وكل مجتمع .

(٦٤) مصنع — ويقولون خفزن الماء الكبير مصنع وإذا أرادوا تعظيم عين محقونة قالوا هي كالمصنع . وفي اللغة المصنعة والمصنعة والصنع بالكسر الموضع الذي يتخذ ويخفف فيه بركة يحتبس فيها الماء . وقال صاحب العين وكما اتخذت من بئر أو بناء مصنعة .

(٦٥) صول مصول — ويقولون صوّل الكلس بالمصول إذا صب عليه ماءً ليستخرج منه الحصى وصوّل الحنطة غسلها بالماء من التراب . وفي اللغة التصويل إخراجك الشيء بالماء . وفي القاموس والتصويل إخراجك الشيء بالماء وحنطة مصوالة .

(٦٦) ضب — ويقولون ضب الشيء يضبه (من باب نصر) إذا جمعه اليسه . وفي اللغة الضب في الحلب أن تضع إبهامك على الخلف ثم ترد أصابعك على الإبهام والخلف جميعاً . وفي القاموس وجمع الخلفين في الكف لحلب فاستعمال العامة له من المجاز .

(٦٧) الطَّسُّ — ويقولون طسّه إذا ضرب به ظافراً . وفي اللغة كما في القاموس طسه خصمه وأبكمه ولا تخفى المناسبة بين العامي والفصيح .

(٦٨) ظلمة ، ظليمة ، طلاسى — ويقولون للخبرة المكتنزة ظلمة وزان ظلمة وظليمة يضم الطاء وتشديد الياء على النسبة ويجمعونها على طلاسى . وفي اللغة الظلمة الخبرة وفي الحديث انه صلى الله عليه وآله وسلم مرّ برجل يعالج ظلمة وقد عرق من حر النار وتأذى فقال لا تمسه النار ابداً . والتظلم ضربك الخبرة بهدك وظلم الخبرة سواها . ولما كانت الرفاق غير معروفة عند العرب كنت الخبرة المكتنزة ادنى باسم الظلمة عند العامة .

(٦٩) طيس طووس مطوسة — ويقولون سقى الارض (طيس) وطووس الارض اذا سقاها بالماء الكثير بان يغيرها كلها وفلان في نعمة طيس اي كثيرة والاسم التطويس . وفي اللغة الماء الطيس الكثير عن ابن دريد او هو العدد الكثير او كثرة كل شيء من الرمل والماء وغيره عن القاموس وطاس بطيس كثر عن الائمة . (٧٠) عثله — يقولون عثله بالشيء عثفه لاثماً وبخه وقال له فعملت وفعلت . وفي اللغة عثه بالكلام وبخه كما في القاموس فتزيد فيها العامة ثاءً ثالثة مع بقاء المعنى كما هو .

(٧١) عجي ، عجيه ، عجيان — ويقولون للولد الصغير عجي كعبي وعجيه كصبيه ويجمعون على عجيان كعفلان وعجان بالكسر . وفي اللغة عجوت الولد وعجيته عجواً فهو عجي والائى عجيه علته بالطعام واخرت رضاعه وقد عوجي اذا منع من اللبن وغذي بالطعام والاسم العجوة بالفتح وبالضم وعن الزجاجي العجي من الناس الذي تموت امه فيقام عليه فاذا مات ابوه فهو يتيم فاذا ماتا معاً فهو لطيم .

(٧٢) عرزال — ويقولون لما بينى من غصون الشجر عالياً عن الارض عرزال وزان مروال ويسمونه السرير ايضاً ينام فيه ناطور الزرع والبيادر والبساتين وانما يرفعونه عن الارض حتي لا ترقى اليه الهوام ولا الوحوش . وفي اللغة العرزال ما بينيه الناظر فوق النخل والشجر فراراً من الاسد وهو ايضاً موضع الاسد وما يمهده لاشيائه من القصب وانه البيت يكون فيه الملك اذا قاتل . وفي القاموس هو موضع يتخذ الناطور في اطراف النخل خوفاً من الاسد .

(٧٣) عرقب — ويقولون فلان عرقب لمن الخوف اي وهن عرقوبه فلم يقدر

على الشئ ويقولون فلان عرقب خيله اذا قطع عراقيها . وفي اللغة عرقبه أصاب عرقوبه . وفي القاموس عرقبه قطع عرقوبه .

(٧٤) عرمة — ويسمون ما يجمعون من أكداش الزرع بعد ان تداس عرمة وزان قصبة ويجمعونها على عرم وعرام ويشتقون منها فعلاً فيقولون عرم فلان بهدره . وفي اللغة عن المصباح اذا دقت أكداش الطعام ودرست فهي العرمة وزان غرفة والعرمة وزان قصبة لغة فيها . وفي القاموس العرمة محركة رائحة البطيخ والكدس المكدوس لم يدر .

(٧٥) العطبة ، العطب — ويقولون للثياب القطنية عطب وزان قفل وفي رائحة القطن المحروق عطبة وزان غرفة ويقولون فلان عطب فلان اي أحرق له قطنه وأنشقه ريح حريقها . وفي اللغة عن المخصص العطب (كقفل) القطن واحده عطبة ومثله في القاموس وقال ايضاً والعطبة خرقة تأخذ بها النار . وفي الاساس اجدر ريح عطبة اي قطنه محترقة وقال ابن هرمة :

وجئت بعطبي أسعى اليها وما أطلب اعطابي واقتداحي

(٧٦) عفك معفوك عفكة — ويقولون فلان عفك عمله عفكاً اذا لم يقم به على وجهه فكان غير منظم وفلان انعفك وهو معفوك وعليه عفكة اذا اختلط الناس حوله وعفكه اذا جعله لا يحسن العمل . وفي اللغة عن القاموس عفك الكلام يعفكه لم يقمه والأعفك الأعسر ومن لا يحسن العمل والعفك الحق والمناسبة ظاهرة بين العامي والفصيح .

(٧٧) عقرب ، معقرب — ويقولون عقربت الخيط اذا فتلته حتى التوى بعضه على بعض وخيط معقرب بصيغة الفاعل والمفعول هو كذلك او فعل به ذلك . وفي اللغة كما في المخصص في قول الشاعر :

(وجاءوا يجرون الحديد المعقرباً)

قال زعم ابن دريد انه يزيد الدروع لان حلقها ملوية يقال عقربت الشئ لويته وفي القاموس والمعقرب بفتح الراء المعوج والمعطوف .

(٧٨) عقب — ويقولون عقب على الشئ اذا ثنى شدة يخيظ او نحوه بعد

شدته الاولى حتى لا يفلت . وفي اللغة عَقَبَت السهم أعقبه عقباً وعَقَبَتْه شدته بالعقب وكذلك كل شيء تكسر فشذ خكاه ابن سيده عن صاحب العين والعقب محرّكة عصب المنين والسافين والوظيفين كانوا يتخذونه لشد . وزاد في القاموس وهو العصب تعمل منه الاوتار وعقب القوس لوي شيئاً منها عليها .

(٧٩) معمرط — ويقولون فلان معمرط بصيغة الفاعل اي طويل وعمرط اي امتد جسمه وطال . وفي اللغة عن القاموس في مادة (ع م ر ط) وكبرقع الطويل . (٨٠) عنفص — ويقولون عنفص فلان اذا تكف القوة وهو ظاهر العجز فهو معنفص والمصدر العنفسة . وفي اللغة العنفس الصلف والخفة والخيلاء والزهو وربما كانت في اللغة العنفسة باللام بدلاً من النون وهي كما في القاموس ان تلوي من يصارعك تلوية وانت عاجز عنه .

(٨١) العيش — ويسمون الخبز العيش وكثير من يجعله مرادفاً للفظ الخبز . وفي اللغة حكى ابن سيده عن ابن دريد العيش الطعام بلغة اهل اليمن وفي كتاب العين ان الطعام غلب على الخبز والبر .

(٨٢) عيط ، عيطه ، العياط — ويقولون عيط فلان لفلان بتشديد الياء اذا ناداه برفع الصوت . وعيط فلان اذا رفع صوته بالكلام . ويقولون قامت العيطه اذا علا الصراخ والاسم العياط . وفي اللغة عيط اذا مد صوته بالصراخ وهو العياط عن الاساس فكأنه مأخوذ من العَيْط محرّكة وهو طول العنق لان الذي يمد صوته يمد عنقه على الغالب . وفي القاموس العَيْط الصياح او صياح الأثر (الاثر البطور كافر النعمة) .

(٨٣) غث غلثة — ويقولون للحنطة وغيرها من الحبوب اذا كان فيها زوان وتراب ونحوهما هي رغائنة وزان سدره وعندنا الحب غلث وزان كنف وإيل . وفي اللغة المغلوث طعام فيه مدر وزوان . قال ابو عبيد الغليلث من الطعام المخلوط بالشعير فاذا كان فيه المدر والزوان فهو المغلوث . وفي القاموس الغليلث الطعام يُغَثّ بالشعير كالمغلوث .

(٨٤) فم مختم — ويقولون بكى الصبي حتى فحتم اذا انقطع صوته من البكاء .

وفي اللغة عن القاموس وخَمَّ الصبي كنصر وعني خَمًّا وخامًا وخومًا بالضم بكى حتى انقطع نفسه . وفي المصباح غم الصبي يغم بفتحين وخومًا وخامًا بالضم بكى حتى انقطع صوته ومنه قيل ألحمت الخصم إخمًا إذا أسكته بالحجة . وفي الأساس بكى الصبي حتى غم انقطع نفسه واربد وجهه وأخمه البكاء .

(٨٥) فدغٌ مفدغ — و يقولون فدغ فلان فلانًا يفسدغه (من باب فتح) إذا جرحه في رأسه ورأسه مفدوغ مجروح . والبطيخة ونحوها مفدوغة إذا كانت مضروبة ضربة تنفذ في جوفها . وفي اللغة عن القاموس فدغه كمنعه شدخه أو هو شدخ الشيء المجوف . وقال أبو زيد فدغت أفدغ وثلثت أثلغ وشدخت أشدخ معناه من واحد ولا يكن إلا في كل رطب ويقال شدخت رأسه وثلثته أيضًا وكذلك البطيخة وانكم وما كان رطبًا .

(٨٦) فرشخ فرشخة — و يقولون فرشخ بالخاء المعجمة إذا باعد ما بين رجليه وهو يمشي فرشخة إذا كان يمشي مباعداً ما بين رجليه . وفي اللغة نفرشحت الناقة بالخاء المهملة تفحجت للحلب وفرشخ فرشخة وفرششى وثب أو قعد مسترخياً فالصق فخذيه بالأرض أو ففخ بين رجليه عن القاموس وظاهر من ذلك تحريف العامة بأعجام الخاء وجعلها خاءً وله نظائر وظاهر أيضاً المناسبة بين العامي والفصيح .

(٨٧) فرع — و يقولون فرعاً بالعصا إذا ضربه على رأسه . وفي اللغة فرع رأسه بالعصا ضربه بها أو علاه عن أبي عبيد ومثله عن القاموس وكأنت فرعاً مأخوذ من الفرع ومعناها فرع على فرع وفرع كل شيء أعلاه فهو من المجاز .

(٨٨) الفرض مفروضة — و يقولون فرضت على العصا فرضاً أو على العود إذا حززت فيه بالسكين وعصاً مفروضة . وفي اللغة عن ثعلب الفرض الثقب والحزّ جمعه فروض وفراض وعود مفروض وفريض قال ابن السكيت فرضت العود والمسواك أفرضه فرضاً (باب ضرب) حززت فيه . وفي القاموس (الفرض) الحزّ وفي غيره مثله وأنشد في الأساس :

(شخت الجزارة في ساقيه لفريض)

أي تحزيز ومنه فرضة القوس لموضع حزّها الموتر عن المصباح .

(٨٩) الفز ، فزته ، مةزور ، انفز — ويقولون فزرت البطن والظرف انفزه (من باب ضرب) اذا خرقته وشققته ونفزر جسم فلان اذا امتلأ لحمًا وشحمًا حتى كاد يتشقق من الامتلاء . وفي اللغة عن صاحب العين انفز الثوب تشقق . وعن ابن دريد فزته أفزره فزراً . وفي المصباح هو من باب ضرب قال وفزر الثوب ونحوه فزوراً انشق . وفي القاموس فز الثوب شقه فنفزر وانفزر ثم قال والفراء الممتلئة لحمًا وشحمًا .

(٩٠) فز ، فزَزة — ويقولون فزَ الولد وغيره فزاً اذا وثب ويقولون تعلم فلان الفز اي الوثوب وهو شاطر بالفززة يريدون الفز . وفي اللغة الفز ان يجمع الطبي قوائمه ويثب حكاه ابن سيده في الخصاص . والفز الخفيف ومنه استفزه الخوف اي استيفه قاله الائمة . وفي القاموس فز عدل وانفرد والطبي فزع . وكلها ترجع في الحقيقة الى معانٍ متقاربة وربما كان الاصل متحدًا .

(٩١) فشخ — ويقولون فشخه اذا جرحه برأسه ولا يطاقونها الا على جرح الرأس وفي اللغة الفشخ ضرب الرأس باليد . قال في القاموس فشخه كمنعه ضرب رأسه بيده ويقولون فشخ فلان اذا وسع خطاه ووسع فلان فشخه اذا باعد ما بين مواقع أقدامه . وفي اللغة فشخ بالمهمل كمنع فرج ما بين رجله كفشخ .

(٩٢) فشة خلق — ويقولون دعني أفش خلقي اي اظهر ما يحوي في نفسي ليذهب ما بها من ألم الغم ويسمون رثة الانعام في الذبائح فشه بكسر الفاء لانها اذا عصرت خرجت الريح المخزونة في خرونها . وفي اللغة فششت الضرع اخرجت ما فيه عن ابن حاتم وتوسع ابن دريد فقال فششت الموطب أفشه فتنا اخرجت ما فيه من الريح بعد ان كان منقوخًا وجعل الفارسي هذا من ذلك .

احمد رضا

(للكلام ثمة)

عضو المجمع العلمي

تاريخ الطب عند العرب

- ٢ -

وقد نبغ الى جانب الرازي في الطب علي بن العباس الجوسي من الاهواز وقد كان طبيباً مجيداً متميزاً في صناعة الطب . ومن موجبات الاسف اننا لم نقف على كثير علم من ترجمته . وله الكتاب المشهور الذي يُعرف بالملكي صنّفه للملك عضد الدولة الديلي من آل بويه . وهو كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعمليها في عشرين مقالة . وقد نسق فيه سهل الأقدمين ما عدا المفردات الطبية فزاد عليها كثيراً . وفيه لابن العباس نظريات ومشاهدات خاصة في الحصاة وانقلاب الرحم وهو اول من ذكر فرقة العظم في تشخيص الكسور وحصول الكسر من جراء التقلصات العضلية الشديدة . وقد أثقّد الجوسي في مقدمة كتابه الملكي أعظم الأطباء الاقدمين والمعاصرين له ، وأظهر نواصص كل منهم كما يُلحَق به بعد نظره وسعة علمه . والملكي هو الكتاب الوحيد في الطب الذي حمّله الصليبيون معهم الى اوربا ونقله الى اللاتينية قسطنطين الافريقي الشهير بـ *Constantinus Africanus* نفسه تحت عنوان *بانتيوني* ودرسه في مدرسة سالرنو فطار ذكره في جميع أنحاء اوربا ولقب بالباغلة الجدد الى ان ترجم الملكي الى اللاتينية آتيان الانطكي في القرن الثاني عشر الميلاد فانكشف ان ذلك عن حقيقة قسطنطين الحجاب واتضح انه منقول خيرة الكتب العربية كما سيأتي بيانه .

وبينا العرب في المشرق يستقرون الدقاير ويحلون المعادن ويستخرجون الكحول ويصفون الحصبة والجذري ويعالجون الحيات بالماء البارد كان اخوانهم في المغرب في تلك الاندلس الجميلة يشرحون الاجساد ، ويخزعون الحصاة ، ويجهرون الكسور ، ويعملون الاعمال الجراحية الكبرى ، وفي رأسهم ابو القاسم ائرهراوي محيي الجراحة ومجدها .

ولد ابو القاسم في الزهراء قرب قرطبة ، وقد اختلف في تاريخ ولادته ويغلب ان تكون في أوائل القرن الحادي عشر . وكان طبيباً فاضلاً خبيراً بالادوية المفردة والمركبة وجراحاً كبيراً بلغ بالجراحة مبلغاً لم يصل اليه غيره من الأطباء في ذلك التاريخ .

أهملت الجراحة زمنًا عند العرب على نحو ما بقيت أعصاراً مهملةً عند الغربيين . وكان العرب يحنقونها لانها صنعة بدوية . و بالنظر لامتناعهم من تشريح الموتي وقناعتهم من هذا الفن بما يدرسونه في كتب الأقدمين ظلت الجراحة عندهم متأخرة زمنًا غير قليل . وما زال حال الجراحة والتشريح من الإهمال على ذلك حتى جاء أبو القاسم الزهراوي فخطم بمحيد جراته تلك القيود ، وبدد بساطع حنجه تلك الاوهام ، ونهض بالجراحة من سافل محطها الى اسمى ما يليق بها من الكرامة والرفي . فحث على درس التشريح وحض على تشريح الموتي . وبذل كل ما أوتيته من قوة في سبيل ترقية الجراحة وتعليمها . وله في صناعة الطب تصانيف مشهورة أفضلها كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف وهو مؤلف من ثلاثين كتاباً . اول كتاب منها يبحث في العموميات الطبية ثم يأتي درس الامراض على اختلافها بالترتيب ويمتاز الكتاب الواحد والعشرون بفصل خطير يبحث فيه أبو القاسم في نفيبت الحصاة داخل المثانة و كيفية صنع هذه العملية ذات الشأن التي لم يسبقه اليها احد . وفي الكتاب الثامن والعشرين بحث في الادوية البسيطة ويقسمها الى ثلاثة أقسام الأدوية المعدنية والأدوية النباتية والأدوية الحيوانية . وهو كتاب فريد في بابه مبتكر في تصنيفه غني بمشروعاته في الأدوية المفردة . اما الكتاب الثلاثون فهو أجل ما كتب وخيرة ما ابتدع في الجراحة الى ذلك العهد نقله جراردي كريمونا الى اللاتينية في القرن الثاني عشر في مدينة طليطلة ومنه نسخة في المكتبة الأهلية في باريس رقم ٧١٢٧ .

ويمتاز هذا الكتاب بالصور والرسوم فهو اول مؤلف شوهدت فيه رسوم الأعضاء والهيكل العظمي ورسوم جميع الآلات الجراحية المذكورة في مننه مع وصف كيفية استعمالها . وهو يقسم الى ثلاثة أقسام : فالجزء الاول يبحث في الكي وفوائده وفي الأمراض المختلفة التي ينفع فيها . ويبحث أبو القاسم في الجزء الثاني في الجراحة بالآلات القاطعة وفيه يتكلم على كيفية استئصال السليمة الأنفية (البوليبيس) بواسطة آلة اخترعها لهذه الغاية على شكل صنارة و يصف كيفية استئصال العقد اللنفاوية الرقبية المزمنة و يبحث في كيفية اخراج السهام الداخلة في الجسم و يتكلم في الجروح النافذة في البطن والصدر وفي طريقة اخراج الاجسام الاجنبية من داخل المري بواسطة اسنجة متصلة

بخارج النم بخط متين ، وفي قدح العين بواسطة آلة مجوفة يتنص منها . ويستدل من مشاهداته انه أجري تدريز البطن (Gastrovraphie) وخزع القصبية (Bronchotomie) وانه اول من خزع الحصى عند المرأة (Lithotomie) وقد عثرنا على وصفه هذه العملية الخطيرة في ذيل كتاب الحصى للرازي المنوه به سابقاً . وهو اول من أصلح طرز عمليات البتر وكان من قبله يبترون القسم المعتل فقط ، اما هو فقد أوصى بالقطع في الأنسجة السائلة عن بعد من الأنسجة المربضة كما هي الطريقة المتبعة اليوم . وقد قال هلمو پورتال ان ابا القاسم وصف قبل (ابرواز باره) ربط الاوعية . وبحث ايضاً في هذا الجزء في الولادة فأشار بقاب الجنين في الاعتلان المستعرض وذكر طريقة لفنت الجنين ووصف الآلات اللازمة لجذبه وتوسيع عى الرحم وفيه مشاهدة مهمة في الحبل خارج الرحم . وبحث ايضاً في الالتهايات المتقيحة فأوصى بخزع الخراجات القريبة من المفاصل في بادىء ظهورها باستئصال جميع الاقسام المريضة في الالتهايات العظمية وذلك خير ما توصي به الجراحة الحديثة . و ينهي هذا الجزء بتعداد القواعد التي يجب مراعاتها في العضد .

اما الجزء الثالث من هذا الكتاب فهو بحث في الكسر العظمي والتجبير وخلع المفاصل ومعالجته . و يثقف على ابي القاسم في هذا الباب ترجمته استعمال الآلات الميكانيكية في إرجاع الخلع وتجبير العظم على الأبدى . ويتكلم في هذا الجزء عن الخلع المزمن وطرق معالجته وهو اول من اشغل بهذا الموضوع .

هذه هي خلاصة أبحاث كتاب التصريف ومنها نتجلى للابصار منزلة ابي القاسم الرفيعة في عالم الجراحة والانقلاب العظيم الذي أحدثه (التصريف) في انحاء العالم . قال الاستاذ بوشوت في كتابه تاريخ الطب والمذاهب الطبية (ص ٣٥٢) ما نعر به : ان جراحة ابي القاسم التي ترجمها حديثاً لوسين لكران هي وايم الحق مبتكرة وهي اهل للمديح الكثير الذي وصفها به فبريس د كاهنداني (القائل ان ابا القاسم يعد المثل الاعلى للعلم) فاننا نشاهد فيها كثيراً من الرسوم (الى ان قال) وقد جئبت بهذا الطبيب الجراحة العملية الخطيرة المندرسة من عهد بعيد . فقد استأصل سليله الاناف وعالج بجحر جهنم . واستعمل الكاويات في أمراض لم يحسر احد قبله ان

يستخدمها فيها . وكان يؤثر الحديد على غيره من المعادن فعالج بالكي بالحديد تقاصات الوجه الاختلاجية المؤلمة وكان يكوي فيها خلف الصدغ او عند ملتقى الشفتين وعالج بالكي الجذام الدرني والقروح السرطانية والنزف الخ . وجاء في خطاب الاستاذ فورغ الجراح الحالي الشهير الذي ألقاه في تشرين الثاني ١٩٢١ في الاحتفال الذي عقد احتفاءً بمرور سبعائة سنة على جامعة مونبيليه ما تعرب به : في القرن العاشر والحادي والثاني عشر وضع العرب واليهود (وكان اليهود الصلة بين العرب والفرنج) في مونبيليه أسس المعارف الطبية . وكانت مدارس الطب في الاندلس حافلة زاهرة كمدارس الطب في آسيا . وفي القرن التاسع (والصحيح الحادي عشر) ظهر في قرطبة ابو القاسم الذي أحدثت كتبه الجراحية في جامعتنا هذه أعظم تأثير بدنا عليه استشهاده الاستاذ ججي دي شولباك به أكثر من مائتي مرة » وقد ترجم القسم الجراحي من التصريف جراددي كريمونا الى اللاتينية وترجم كله الى العبرانية واللغة البروفانسالية وغيرها . وانتشر في اوربا انتشاراً هائلاً وأحدث فيها انقلاباً جديداً ودرس في اول عهده في سالرنة وغيرها من مدن ايطاليا زمناً طويلاً وحمله الى فرنسا في القرن الثالث عشر فربق من الاطباء الايطاليين الذين التجأوا اليها لاحكام سياسية ومنهم روجي دي بارمه الذي نالت مؤلفاته في الجراحة شهرة عظيمة ، وهي لم تكن في الحقيقة سوى انحال افكار ابي القاسم في الجراحة وأعماله فيها . ولا أرى أجلاً برهان على ذلك من نصريح الفرد فرانكن في كتابه التثقيب عن اصول الجراحة ورقمها في فرنسا (ص ٣٢) ما تعرب به : « جدد ابو القاسم ذلك النابغة الرحب الجرسور فن الجراحة عند العرب فطار ذكره في الأقطار ودخلت مؤلفاته ايطاليا فكان فيها ابو القاسم دليل الجراحين في أعمالهم وفي تصانيفهم . وما الجراحون الذين نبغوا في ايطالية بعد ابي القاسم الا نقلة ومقلدون لهذا الرجل العظيم . وقد نظر الى هؤلاء الجراحين بعين الإعجاب وعدوا مجددين للجراحة على انهم في الحقيقة لم يزدوا على الجراحة أقل شيء جديد . بل أدخلوا فيها اختلافات كثيرة (الى ان قال) وقد أخذ من كتاب ابي القاسم روجي دي بارمه كل القواعد التي تتألف منها مصنفاته ولم يذكر مأخذها واتهم بالنفسه فقال بذلك تلك السيرة والمكانة العظيمة » .

هذا هو ابو القاسم ونبك أعمامه وهذه شهادات أعظم أساندة الطب الحديث
 في أوربا بفضلهم وعلمهم مكانهم ، ولا أرى ان أزيد عليها الا ما قاله الاستاذ فرند
 الانكليزي ابو القاسم هو محيي البراحة ومجددنا » .

وبينا كان بدرابي القاسم يتلأأ في سماء الاندلس كانت تضيء في خراسان
 شمس ابن سينا ذلك الشيخ الرئيس فلهذا باسمها ظلمت الافكار وتمزق بانوارها
 غوايض العقول .

ولد الحسين ابو علي بن عبد الله بن سينا في بخارى عام ۳۷۵ للهجرة وكان آية
 في الذكاء ومعجزة بقوة الادراك اتقن اللغة والأدب وهو في العاشرة من عمره .
 ثم درس الفلاسفة العقلية والآهية والفقه والرياضيات والطب وما وراء الطبيعة ،
 وفاق أهل زمانه في كل هذه العلوم وهو لم يتجاوز اليها في عشرة سنة من عمره .
 وقد قلده الامير شمس الدولة الوزارة في همدان فلما لحق ثم عزله وحسبه لأسباب
 ادارية ، وكان شمس الدولة مصلياً بالفتوح فاشتغل عليه الأثم فطلب الشيخ واعتذر اليه
 فاشتغل بمعالجته ، وأقلم عنده مكرماً مجللاً . وأعيدت الوزارة اليه ثانياً وبقي فيها
 الى ان توفي شمس الدولة وخلفه تاج الملوك فطلب الشيخ بمكانة علاء الدين امير اصفهان
 فسجنه اربعة اشهر ثم خلى سبيله فذهب الى اصفهان وصادف فيها في مجلس العلاء
 ما يستحقه من الاعزاز . وكان ابن سينا شديد القوى كلها وكان شديد الشبق
 كثير الوقاع والشرب فان ذلك في مزاجه فاعتراه مرض القولنج في اصفهان ولما اشتد به
 رجع الى همدان وتوفي فيها عن عمر يناهز الثالثة والخمسين سنة ۴۲۸ للهجرة . وله مؤلفات
 عظيمة في جميع العلوم وأشهر ما ألفه في الطب كتابه القانون ومنه نسخة في دار الكتب
 العربية في دمشق . وهو أشهر من نار على علم جمع فيه زبدة ما وصل اليه علم الطب عند
 اليونان والكلدان والفرس والهنديين وانتقد كثيراً من أقوال سلفه وزاد عليهم أشياء
 كثيرة . وقد لقي القانون في الشرق وفي اوربار واجاً لم يلقه كتاب غيره . وهو يقسم
 الى خمسة أجزاء فالجزء الاول يبحث في النظريات الطبية وفيه ينحو مئتي جالينوس
 وينهج منهج ارسطاطاليس . والجزء الثاني يحتوي على ثمانمائة فصل في الاندراجات الطبية

ومنها مواد كثيرة كان يجهبها الأقدمون . ويبحث الجزء الثالث في الامراض الموضعية من الرأس الى القدم . والرابع في الامراض التي من شأنها ان تعترى اعضاء مختلفة كالغريزينا والخراجات مثلاً وابن سينا اول من فرق الحميرة اي الحمى القرصية عن الحصبة والجدرى . اما الجزء الخامس من القانون فهو مختص بالصيدلة ، ولا يخفى ما كانت عليه الصيدلة عند العرب في ذلك العهد من التكامل ، ففي هذا الجزء فصول ضافية عن المركبات التي أوجدها العرب كالعوفات والأشربة والصباغ والكحولات والروب وغيرها من التراكيب الصيدلية . وذكر في هذا الجزء المداواة بالذهب والاحجار الكريمة مما رجع اليه في المداواة الحائي وانتقد استعمال المسهلات القوية واوصى بتعديلها او بالاستعاضة عنها بالمليينات . وكثرت يستعمل الفصد ويوصى به في امراض كثيرة ويداوي السويداء بالأرجوحة . وقد أدرك المتخصصون بالامراض العقلية والعصبية فائدة المداواة بالامتزاز في هذا العهد الأخير . اما القسم الجراحي من القانون فليس فيه ميزة خاصة يمتاز بها . وقد لقي القانون أعظم إقبال ورواج في عالم الطب في الأقطار والأمصار فترجم الى لغات متعددة وشرح شروحاً كثيرة وكان عليه معول التدريس في اوربا في المدارس الطبية مدة خمسمائة سنة . وكان في جانب جالينوس وأبقراط المرجع الاعلى في العالم الطبي . وقد طبع القانون لأول مرة بالعربية في روما سنة ١٥٩٣ ونقله في القرن الثاني عشر الى اللاتينية جراردي كرمونا وما جاء القرن الرابع عشر حتى أعيدت ترجمته اربع عشرة مرة . وما زال القانون حجة الأطباء وموضع الإعجاب الى أواخر القرن المنصرم فاضاع شيئاً من تلك العظمة وذلك لان الطب الحديث لم ينظر اليه من الوجهة التي نظر اليه منها السلف فهو في نظره قاموس في الطب والصيدلة جمع خلاصة أبحاث اليونان والكنكان والهنود والفرس والعرب في الامراض ومعالجتها والعقاقير وخصائصها فهو كنساب جليل من حيث الجمع والاستيعاب ولكنه دون الملكي والتصرف من حيث التجدد والابتكار . غير ان هذا الحكم لا يمس عظمة ابن سينا ومقدرته العلمية فهو لم يزل لدى المتأخرين كما كانت عند المتقدمين ، نابغة في الذكاء ، بجرأ في العلوم ، أشبه به بمعملة (دائرة المعارف) حية تكشفت فيها علوم الأقدمين من الفلسفة

والآلات والمقاييس واللغة والأدب والفقه والكيمياء والحكمة والرياضيات والفلك والموسيقى والطب مما لم يشاهد في انسان غيره . وقد صنف في كل هذه العلوم وأجاد وكتبه تروى على المئة . قال الاستاذ بوشوت في تاريخ الطب والمذاهب الطبية (ص ٣٤٩)
 مها كثرت الأقوال (في ابن سينا) فهناك صوت عال تصمت أمامه انتقادات المؤرخين ألا وهو صوت عظمة ابن سينا وتأثير مؤلفاته . (الى ان قال) ومؤلفاته (الأصح مؤلفه) المدعوة بالقانون ظلت بحق القانون والدستور الطبي في آسيا وأوربا مئات من السنين . وقد بلغ الإعجاب بهذا المؤلف في أوربا بحيث اقتصر معها أساتذة الطب في الجامعات على قراءة مثله وشرحه . فكان جرير دي رولفك يشرحه في جنوة في القرن الثامن عشر وكذلك في لوفن من مدن البلجيك وكان قد طبع شرحه فيها بدهوس عام ١٦٥٨ . وظل التدريس على هذه الصورة - في مونبيلية زمناً طويلاً .

وبينا نشاهد الطب الحديث ينزع ابن سينا لقب المجدد ، نراه يوجد بهذا اللقب على ابي مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر . أعظم طبيب عربي فاق من تقدمه من الوجهة العملية واكبر مجدد في فن الطب نزع عنه ما خلق من النظريات التي لم تؤيدها المشاهدات ولم تستند على التجارب . فكان يسير الى جنب ارسطاطاليس كما جمع ما بينها العلم والعمل ويفترق عنه كما خالفت التجارب نظرياته ، ومما ساعده على النبوغ في الطب عدم اشتغاله بغيره من العلوم كما صر به من الاطباء . ولد عبد الملك ابن زهر في اشبيلية في الاندلس من أسرة جل أفرادها اطباء ، فقد كان جده مروان بن زهر والد ابو العلاء بن زهر من خيرة الاطباء المشهورين بالحدق والمعرفة . وكذلك ولده الحفيد وأحفاده فقد كان لهم منزلة رفيعة في الطب والمداواة كما ان ابنه وحفيده كانوا عالمين بصناعة الطب والقبالة ومداواة النساء وكانوا تدخلان الى نساء المنصور ولا يقبل للنصور وأهله ولداً الا هن . وكان ابو مروان جيد الاستقصاء في الادوية المنردة والمركبة حسن المعالجة . شاع ذكره في الاندلس وأوربا واشتغل الأطباء بمصنفاته . ولم يكن في زمانه من يماثله بالجرأة فقد كان

يفصد مرضاه بيده ، ويجري جميع العمليات الجراحية ماعدا خزع الحصى عند المرأة ، فقد كان يمنع منها لما نع أدبي . واختص عبد المؤمن أمير المؤمنين ابن زهر لنفسه وجعل اعتماده عليه في الطب وأثابه من الأتعان والعطاء فوق أمنيته وكانت مكيناً عنده عالي القدر وألف له الترياق السبعيني وتوفي سنة خمس مائة ونيف ودفن في اشبيلية وقد اشغل عليه في الطب كثيرون . وكان من أجل تلاميذه في صناعة الطب والآخذين عنه أبو حسين ابن اسدون المشهور بالمصدرم وأبو بكر بن الفقيه القاضى ابى الحسن قاضى اشبيلية وأبو محمد الشذرنى وأبو عمران ابن ابى عمران (طبقات الاطباء ج ٢ : ٦٧) ولاصحة لما قلناه بعضهم من ان ابن رشد كان من تلاميذه كما سنبينه فيما يأتي .

ومن أجل كنهه في الطب كتاب التيسير في مداواة والتدبير ألفه للقاضى ابى الوليد محمد بن احمد بن رشد وكان قد سأل ذلك ابن رشد ليكون تمماً لكتابه الكليات ولم يعثر على سواه من كتبه وهو كتاب عملي سهل المأخذ بصورة كنهش بخلاف الملكي والقانون اللذين امتازا بصنعتها العلمية المدرسية . وقد درس فيه أبو سروان الأضراف من الرأس الى القدم ، ووصف الأعراض الداخلة على كل عضو من الأعضاء بمفرده عرضاً وعرضاً ، ومعالجة كل منها وطرق تركيب الادوية بصورة ممتازة من الأقاويل الجزئية ذات المذكرة . كبرى في فن الطب . وحمل ابن زهر حملات عنيفة على الدجالين والمخمين الذين شوهوا وجه الطب بالخرافات والتدجيل . وكان لابن زهر وقوف تام على التشريح لا سيما الهيكل العظمي وكان يتردد الى المقابر يدرس فيها العظام . ومن المشاهدات الخاصة بابن زهر مشاهداته في الفلج والكنة وأعراض الجهاز الهضمي وخراجة غلاف القلب وذات غلاف القلب وغيرها . ومن مبتكراته استعماله أنبه به بحجوة من التصدير للغذية المصابين بعسر البلع واستعماله الحقن المغذية في المستقيم وكان من قبله مجهولون ذلك ويستعملون ما طس الخلب المصابين بهذه العلة وقد انقد هذه الطريقة بصورة حقيقة . وقد نبذ استعمال المسالك الشديدة وكان يستعجز عنها بالمليينات . وكانت له مهارة تامة في تشخيص الكسور وتجييرها وقد أجرى كثيراً من العمليات الخطيرة كخزع

القصة . وهو اول من لفت النظر الى إمكان إيجاد خواص في النبات غير موجودة فيه كإعطاء العنب خاصة الاسهال وذلك بسقي كرمته بماء مزيج بأدوية مسهلة مما أحدث في علم خواص النبات تجديداً محسوساً . وأبلى أبو مروان ابن زهر بلاءاً حسناً في تجديده فن المداواة ونشر التدبير البسيط في معالجة الأمراض بدل التدبير المشوش بالمفردات الكثيرة والمتراكيب المتعددة .

وأصيب ابن زهر بخراجة في حيز المثلث الصدري ووصف هذا المرض في كتابه وهي اول مشاهدة عثر عليها الطب في ذلك . قال الاستاذ بوشوت في تاريخ الطب (ص ٣٥٥) اشتغل ابن زهر زمناً طويلاً بالجهاز العظمي حتى تمكن من معالجة الكسر والخلع معالجة دقيقة . وقد أجرى مراراً فتح الميت مما ساعده على وصف التشريح المرضي في خراجة حيز مثلث الصدر . وذات غلاف القلب واستسقاء غلاف القلب والالتصاقات اللبيفية القلبية التي يسميها الزوائد القلبية . وعنى بعسر البلع وأوصى باستعمال الحقن المغذية في المسكين .

وقال فرنند : « يوجد لابن زهر ملاحظات في حسن العظم والاسنان مما هو مختلف فيه حتى اليوم . وله مشاهدات في السل الناتج عن القرحة المعدية وفي الاختناق الحاصل من فنج البرقي والخبيث في الحنجرة أي الثقب المشاري والحصى البولية وغيرها » . ونزيد على ذلك ما قاله الاستاذ جبار في جامعة ليون في بحثه عن الجرب في كتابه الطفيليات (ص ٥٠١) ما تعرض به : والذي وصف الجرب هم الاطباء العرب فقد أثبتوا انه مرض سار يظهر غالباً بين لأصابع ويظهر ان ابن زهر في القرن الثاني عشر هو الذي اكتشف طفيلياته ويسمونها صوابة الجرب » . واذا نظرنا الى هذا الاكتشاف المهم وأضفنا اليه ما عدناه من أعمال أبي مروان ابن زهر يتجلى لنا في شخصه الطبيب الجرب المحدد في أجل مظهره وأكمل أوصافه .

*** :

وكان معاصراً لعبد الملك بن زهر القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد المشهور بابن رشد فيلسوف العرب واحد تلك الاسماء العظيمة التي تفتخر بها مملكة الاندلس . كان واحداً في علم الفقه والخلاف وامتاز بالفلسفة والطب وكان في

الاولى أنبغ منه في الطب وكان يلته وبين ابني مروان ابن زهر مودة . ولما ألف كتابه انكيات الذي سياتي ذكره وهو في الامور الحكية قصد من ابن زهر ان يؤلف كتاباً في لامور الجزئية لتكون جملة كتابها ككتاب كامل في صناعة الطب ولهذا يقول ابن رشد في آخر كتابه ما هذا نصه : « فن أحب ان ينظر بعبد ذلك (اي بعد درس كتابه) في الكنائش فتأوفى الكنائش له انكتاب الملقب بالنيسير الذي ألفه في زماننا هذا ابو مروان ابن زهر وهذا الكتاب سألته انا اياه وانتسخته فكان ذلك سبباً الى خروجه (الى ان يقول) ولا حاجة الى من يقرأ كتابنا هذا الى ذلك » . (طبقات الاطباء ج ٢ : ٧٥) ومن هذا يتضح ان ابن رشد لم يكن تلميذاً لابن زهر كما جاء في المعلنة الفرنسية الكبيرة التي أخطأت في تراجم كثير من أطباء العرب وفي الكتب التي أخذت عنها كمجلة البستاني وغيرها بل كان بينهما مودة . وان ابن رشد ألف في الطب قبل ان يكتب فيه ابن زهر وانه كان ينظر الى تيسير ابن زهر نظره الى كنهش متم لكتابه انكيات قد يستغنى عنه . ولدا ابن رشد في قرطبة في أوائل القرن السادس للهجرة ونشأ فيها وولي القضاء في اشبيلية ثم في قرطبة وكان مكيناً عند المنصور وجيهاً في دولته ، ثم ان المنصور نقم عليه وفناه الى اليأس لاحتداد شخصيته ثم رضي بغيره فماد الى قرطبة . وقد أخذ الطب عن ابن باجه وعن ابني جعفر بن هرون (طبقات الاطباء ج ٢ : ٧٣) وقطع فيه شوطاً بعيداً وله مؤلفات جليلة في الفلسفة والطب أشهرها في الطب انكيات وهو كتاب جامع كامل ويقسم الى سبعة أجزاء الاول منها في التشريح وكان ابن رشد يهتم به كثيراً ويرغب فيه ، ومن كلامه في ذلك من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايماناً بالله . والثاني في الصحة والثالث في الادواء والرابع في مداواة الأمراض والخامس في الادوية والاطعمة والسادس في حفظ الصحة والسابع في التداوي . ولابن رشد بحث خطير في مراكز القوى العقلية في الدماغ وقد ترجم الحاوي في القرن الثالث عشر ارمانيجو احد أساتذة جامع مونبلييه ودرس فيها وطبع لأول مرة في البندقية سنة ١٤٨٢ م وانتشر في مدارس الطب في اوروبا جمعاء . ونوفى ابن رشد في مراکش سنة ٥٩٥ للهجرة .

بضطر في البحث الى عقد جلسات متوالية فيما اذا أردت ان استقصي ذكر كل من
اشتهر في الطب عند العرب وذلك لا يتسع له المجال ، ولا تساعد عليه الاحوال ،
غير انه يعز عليّ ان أمر بهذا الجمع الغفير من اولئك الأئمة الذين رفعوا
لواء العلم على عامة قلوب العالم دون ان احصي اعظم قوادهم . وليت شعري من منهم غير
قائد لجيش صحي عام . ولما كان الضيف أرنى بالأكرام ، أرحب بادي بدء بالمراني
نزيل دمشق المتوفى عام ٣٣٩ للهجرة ومنزلته في الفلسفة والطب والرياضيات والموسيقى
اسمى من ان توصف ، ونصائح معه البير في صاحب التأليف في التاريخ الطبيعى التي منها
كتاب الجماهر في الجواهر والآثار الباقية عن القرون الخالية وكتاب الصيدلة في
الطب الذي استقصى فيه معرفة ما حيت الادوية ومعرفة اسمائها . ونحى بعده سنان
ابن ثابت الصابي طبيب المقتدر بالله والقاهر ورئيس الدواوين والمستشفيات في
بغداد وواضع المعاهد الصحية الواسعة فقد أفرد في زمانه للسجون أطباء يدخلون اليها
في كل يوم يحملون الأدوية والأشربة يطوفون السجون يعالجون فيها المرضى .
وأفند الأطباء السيارين مصحوبين بخزائن الأدوية والأشربة يطوفون في السواد
ويقومون في كل ناحية منه بقدر ما تدعو الحاجة اليه ويعالجون من فيه من المرضى .
وكان يشرف على المستشفيات ويراقب الأعمال والعمال فيها . وفي سنة ٣٠٦ فتح
بیمارستان السيدة وجلس فيه ورتب الأطباء وقبل المرضى . وكانت المنفعة عليه ستمائة
دينار في الشهر . وفي هذه السنة أيضاً تشبث لدى المقتدر بالله فأنشأ بیمارستان
المقتدري وكان ينفق عليه من ماله كل شهر مائتي دينار . ودعا جميع المتطربين في
بغداد الى الامتحان ولم يجز الا من ثبتت لديه قدرته . وقد بلغ عددهم في جانبي
بغداد ثمانمائة وستين طبيباً سوى من استغنى عن الفحص باشتهاره ومن كان في خدمة
السلطان مما ينطق بالنظام الادارة الصحية في ذلك العهد وبدل على فرط اعتناء الامة
بامر صحتها وحرمتها لهذا العلم الجليل من خصائص الحضارة الرفيعة .

ومن يجب الاحتماء بهم صاعد بن بشر ابو منصور البغدادي الذي قلب فرس
المدواة القديم وخالف مسطور الاقدمين فدبر اكثر الامراض التي كانت تعالج
بالأدوية الحارة بالتدبير المبرد . فهو اول من داوى السكينة الصدرية والدماعية

والاحتمالات وغيرها بالفصد والمنبركات وكانوا قبله يداوونها بالوسائط والأدوية الحارة مما يسجل له بقلم المنخر .

ومنهم أبو الفرج ابن الطبيب وكانت له مقدرة قوية على التصنيف ، وهو أول من صنف في الطب بصورة جداول عمومية . وأمين الدولة بن التليذ وكان رئيس الطب في بغداد وعهد اليه بائتمان الأطباء فيها . وله مؤلفات كثيرة في الطب منها أقر باذينه الذي عزل أقر باذين سابور بن سهل المنوه به سابقاً . ومنهم اسحق بن سليمان صاحب كتابي الخفيات والبول نقلها قسطنطين الافريقي الى اللاتينية . ودرساً في سائرته ثم في اوربا وكان لها رواج عظيم . ومنهم ابن أبي أصيبعة صاحب طبقات الأطباء .

ومنهم اسحق بن عمران الذي أدخل الطب الى المغرب . وابن الجزار صاحب زاد المسافر وهو من أجل ما كتب في الطب نقله قسطنطين الافريقي الى اللاتينية وانتقله لنفسه باسم فياتيكوم ودرس في سائرته ثم في جامعات اوربا . وابن جليل الذي فسر أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس . وأفصح عن مكنوناتها وأوضح مستغلق مضمونها وهو صاحب كتاب ما فات ديسقوريدس من الأدوية الحديثة التي كانت مجهولة عند الأقدمين ، وقد ترجم الى اللاتينية وكان له شأن في جامعات الطب في اوربا .

وابن وافد صاحب المذهب الطبي الخاص الثمائل بعدم التداعي بالأدوية ما أمكن التداعي بالأغذية او ما كان قريباً منها ، ناذا دعت الضرورة الى الأدوية فلا يرى التداعي بتركيبها ما وصل الى التداعي بمفردها ، فان اضطر الى المركب منها لم يكثر التركيب بل يقتصر على أقل ما يمكنه منه وذلك خير ما وصل اليه الطب الحديث في العهد الاخير . وبالنظر لوفرة أمراض العيون نجب في هذا الفرع من الطب كثير من الاختصاصيين به لاسيما في مصر . منهم عيسى بن علي الكحال صاحب تذكرة الكحالين وهي ثلاث مقالات الاولى في وصف العين والثانية في أمراض العين المحسوسة والثالثة في أمراض العين غير المحسوسة كقصر البصر وغيره .

اما علم النبات فهو سجل في أعلى صفحاته بأحرف ذهبية ثلاثة أسماء عظام خلد التاريخ ذكرهم . اولهم رشيد الدين الصوري النباتي الكبير ، ولد في صور سنة ٥٧٣ ونشأ فيها وتولى رئاسة الطب في دمشق أيام الملك الناصر داود بن الملك المعظم وكان له مجلس للطب حافل بالطلبة وله من الكتب كتاب الادوية المفردة ذكر فيه أدوية كثيرة كانت مجهولة عند سلفه وكان يتوجه مستصحباً مصوراً ومعه الأصباغ والليق على اختلافها ونوعها الى المواضع التي فيها النبات كلبان وغيره وبحقه ويرى للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله وبصور بحسبها . وكانت يصور النبات الواحد إبان نباته وطراوته وبصوره ثانياً وقت كماله وظهور بذوره ثم يصوره وقت ذويه وبسبب مما لم يسبقه احد الى ذلك . وهذا الكتاب النفيس المفرد في بابهِ موجود اليوم في المكتبة الشامية الخاصة في طهران . ثم جاء من بعده ابو العباس ابن رومية الاشبيلي وقد فقدت كتبه الاصلية . ثم ظهر تليذه ابن البيطار ضياء الدين ابن احمد المالقي النباتي . أوحّد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختباره ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها ونوعها . ولد في القرن الثالث عشر للميلاد في اشبيلية وسافر الى بلاد الرّوم و يونان والمغرب في طلب علم النبات ثم توطن مصر وكان مقرباً من الملك الكامل وإلاه رئاسة العشابين واصحاب البسطات ولم يزل فيها حتى توفي عام ٦٤٦ وأشهر كتبه الجامع في الادوية المفردة صنّفه للملك الصالح نجم الدين ايوب وقد استقصى فيه ذكر الادوية المفردة وأسمائها وتجريرها وقواها ومنافعها وبين الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه . وليس في الادوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه . وهو مرتب على الأحرف الهجائية يبحث في الأدوية النباتية والمعدنية والعضوية وفيه ألف وثلاثمائة فصل منها ما يربو على ثلاثمائة فصل تبحث في مفردات طبية مجهولة عند الأقدمين ، ومنها الفوفل والكافور والزباد وحشيشة الملوك والقرنفل والعناب والمسك والمر والليمون البصري وجوز الهند وجوز التي والفلفل والراوند والصندل والسنا والسكر والتمر هندي الى آخر ما هنالك من الادوية المفردة التي أدخلتها العرب في الطب . وقد كان لهذا الكتاب في عواصم العالم منزلة عظمى صوّلت أمامها مؤلفات ديقور بدس .

وبالنظر لضيق الوقت استسمح العفو من ذكر بقية أولئك الاساتذة الكثر من عدم تعطير هذا المجلس بذكر اسمائهم .

ومن وفرة عدد أولئك العلماء الاطباء نُزِلَ لنا عظمة تلك المملكة لشاسعة ومدنيتها وليت شعري هل ينبت العلم الا حيث يجرس السيوف ، يعرف المدل ، وتشرق الحربة ؟ ويتجسم للعيون ما كان فيه الطب في ذلك العهد من ترقى وما كانت عليه دراوين الصحة من الانبظام . فما من بلد الا وكانت فيه مستشفيات متعددة ومدارس طب حافلة . وكان للأطباء نظام ورئيس وللصيدلة قانون رقيق . وكان من الأطباء فريق خاص بالجند وآخر بالمستشفيات وطائفة بالبحوث . ومنهم الخاص بالانماء والامراء المنقطع لمداواة العامة . والكل في سعة وهناء من العيش وكان الاختصاص والاختصاص في الطب شائعين كما في هذا العهد . فكنت ترى الطبيب والجراح والفاصد والكحال والمختص بالأمراض العقلية والمصبية كل يعمل في دائرة اختصاصه وكانت المستشفيات مؤلفة من غرف منها مأمور خاص بالأمراض الداخلية وما هو خاص بالجراحة او بالنساء او بالعيون الخ ، وكانوا يستجرون مشاهداتهم وقد رصنا منها شجارب المارستان للرازي . قال الدكتور غستان لبون في حضارة العرب : ان مستشفيات العرب كانت من الوجهة الصحية أفضل من مستشفيات الأوربيين اليوم بسعتها وجمال موقعها ونظافتها وكثرة مياهها وانطلاق الهواء في أطرافها . وقال ايضا ان أطباء العرب في القرن العاشر الميلاد لم يفقدوا من مرضاهم اكثر مما يفقده اطباؤنا الحاليون . ولم نكتف العرب بهذه الأعمال الأولية بل جنحوا الى التكامل مدفوعين بمعامل الارثقاء الطبيعى فبنوا دوراً تجر يد المجذومين . وادل من فعل ذلك الوليد الأموي سنة ثمان وثمانين . وأنشأ المنصور العباسي داراً للعميان والأيتام والقواعد من النساء ، كما هو حال دور العجزة في الممالك المتقدمة اليوم ، ودوراً لمعالجة المجانين وغيرها من دور الصحة والاسعاف العام التي تبكي عليها دمشق بل جزيرة العرب باجمعها في القرن العشرين . وكانوا يدعون مستشفياتهم باسماء مؤسسيها والمحسنين اليها فيقولون المستشفى العضدي نسبة الى عضد الدولة والمستشفى النوري نسبة الى نور الدين كما ان الغربيين اليوم ينسبون معاهدهم الصحية وغرف مستشفياتهم الى مؤسسيها او النابغين

منهم فيقولون *عمل باستور وقاعة ديولافوا وغرفة لاينك الى غير ذلك مما يجلد في نفوس الأمة ذكر أعظم رجائها وبعث فيها روح النهضة والافتدائ بهم . ويا حبذا لو أتيح لدمشق بل لعامة الأمصار العربية التي الفت بنيتها بخلدون على ظهرها اسم الغريب والأعجمي ان تشاهد يوماً غرف مستشفياتها تلصق الى أعظم من نبغ في الطب عند العرب فيقال غرفة الرازي بدلاً من قاعة الداخلية وغرفة ابن سينا بدلاً من الغرفة الثانية وردة ابن زهر بدلاً من ردة الخارجية ودار ابي القاسم بدلاً من دار العمليات الجراحية الى غير ذلك من شعائر الأمم الحية المتدنة .

ومن هذه الصورة المصغرة لذلك الهيكل العظيم يتضح لنا كل الوضوح ما أوردناه في صدر كلامنا من ان العرب لم يكونوا واسطة نقل صماء بين الأقدمين والمتأخرين ، بل كانوا أمة عاملة حية ، عريقة في الأصل والعلم ذات تاريخ مجيد ومدنية رفيعة خاصة . ينجلي الإقدام الذاتي ، والإبداع الفكري ، والاعتماد على النفس ، في جميع علومهم وأعمالهم . أحيوا العلم اليوناني القديم باجساد النفس وعرق الجبين ، وجمعوه كما يجمع الصانع ذرات الذهب المبعثرة في التراب تحت الأقدام فخلوه وسبكوه ، وأضافوا اليه خيرة معارف الهنديين والكلدان والفرس ، ثم صاغوا منه عقداً حلوه بجواهر من مبتكرات عقولهم ، ولما لم يفسح الاجل في حياتهم القصيرة تركوه لاوربا الغارقة اذ ذاك في ليل اليل من الجهل والعمى . فتجلت به صدورهم خمسمائة سنة دون ان تمد اليه يداً . الى ان قبض الله لها باستور وزملاءه في القرن الاخير فصاغوا من هذا العقد اكيلاً مرصعاً تلوح به رأس الطب انكشوف في جميع أنحاء العالم .

واذ كان لا يصدق القول حتى يشهد شاهد من اهلها ، وكثير أولئك الشهود ، فلنصغ الى الدكتور غستانف لبون في كتابه حضارة العرب فهو يقول : « وسنحاول الآن اثبات تأثير الحضارة العربية في الغرب وان اوربا مدينة بتمدنها اليهم . . . فاذا رجعنا الى القرن التاسع والعاشر من تاريخنا حينما كانت الحضارة الاسلامية في الاندلس ذللاً لا باجلى الانوار نشاهد المراكز المتعلمة الوحيدة في اوربا مقتصرة في بروج يقطنها سادة متوحشون يتباهون بجهلهم القراءة والكتابة . . . وكانت الهجمية في اوربا متكاثفة بحيث كان يتعذر عليها معها ان تشعر بهجيتها . واستمر

ذلك حتى القرن الحادي عشر وبعبارة ثانية حتى الثاني عشر اذ لاحت فيه بارقة علم ضئيلة . ثم لما شعرت بعض العقول المستنيرة بالاحتياج المبرم الى تمزيق كفن الجهل الملتفة به اتجهت نحو العرب أساتذة العلم في ذلك العصر .

(الى ان يقول) ولا يتأتى لنا حتى القرن الخامس عشر ان نذكر مؤلفاً لم يكن ناسخاً عن العرب فان روجي باكون وليونار دي بيز وارمان دي فيلنوف وريموندلوف والقديس توما والبيرتو الكبير والفونس العاشر دي كاستيل وغيرهم كانوا تلاميذ العرب او مقلديهم . وقد بقيت الكتب المترجمة عن العربية ولا سيما الطبية أساس التعليم في كل جامعات اوروبا مدة خمسمائة او ستائة سنة ، ولا يمكننا ان نقول ان التأثير العربي امتد حتى ايامنا الأخيرة فان كتب ابن سينا مازالت تدرس في جامعة مونبيلية الى خاتمة العصر الاخير .

اتي القرن الثالث عشر فانقض المثل على بغداد فقوضوا ذلك العمران ومحو تلك الحضارة ، وأغرقوا في دجلة ثمار تلك العقول حتى اخشقت حزناً عليها ، فباتت تلك الرياض العلمية الزاهرة قاعاً صفيصفاً خاوية على عروشها . ثم قامت الحروب الصليبية في الشام فاستحالت تلك الثورة العلمية المدنية الى نفي عام وحرب ضروس هجينة .

وانقذت الفن والحروب سيف صقلية والاندلس فأحرقت بنيرانها تلك الحضارة الزاهرة والمنكاتب العامرة والسلطنة العظيمة الباهرة . فباتت تلك الممالك العظيمة الشاسعة مظلمة بعد النور ، خاوية بعد العمران ، مجذبة بعد الخصب ، بنعق في أرجائها غراب الجهل ، وينعب في أطلالها يوم النخس والهوان .

الى ان جاءت السنة العشرون من القرن العشرين فلاح لعين النائم الظمان في دمشق على أطلال البرامكة العظام شيخ كوخ حقير ، نقصف من حوله الرياح ونساقط من فوقه الصواعق ، أتته به بيت شعر صغير ، رفع على أنقاض ذلك البرج الهائل ، يدعى : المعهد الطبي العربي . فانعش النائم واستبشر . ثم وجف . ثم تلهف فليت شعري هل تسبح الايام وتمض عين الدهر حيناً من الزمن فتسكن تلك العواصف وتهبط تلك الرياح فتنفوذك البناء ويصبح جامعة عربية كبرى

يجي ذكرى اولئك الرجال العظام فننمش في السماء ارواحهم ، ولنبعث من التراب
أجسامهم ، عمل عظيم يحققه السعي والدؤوب ، والله المستعان .

عضو المجمع العلمي

الدكتور احمد الحكيم

مغارة ام السرج

لا أغادر في سياحاتي البحث عن الآثار القديمة والمشاهد الطبيعية . وذلك
توصلاً لا كتناء غوامض التاريخ والجغرافيا اللذين لا يزال كثير من أوابدهما في بلادنا
محتاجاً للتحقيق . وبينما كنت ألتجول في قضاء منبج « شمالي شرقي حلب » خلال شهر
تموز ١٩٢٦ ذكر لي ان هنالك مغاور تخلب الالباب بعظمتها ودقة صنعها وغرابة
منظرها . ولما كنت قد زرت في القسطنطينية مغارة (كوجك كچكجه) احدى
محطات سكة حديد الروملي ورأيت ما حوته من الآثار الجيولوجية البديعة أملت
ان أشاهد ما يشبهها في المغاور التي ذكرت لي فأسرعت الى زيارتها . وهي تبعد عن
منبج نحو ١٤ كيلومتراً الى الجنوب وعن حلب ٨٨ كيلومتراً الى الشرق .

استصحب من القرية القريبة للمغاور واسمها « مقبله حسن اغا » أدلاء ومصابيح .
فسرنا نراقي جبلاً مستطيل الشكل يمتد من الغرب الى الشرق . وبعد ان سرنا
نصف ساعة وصلنا الى ذروته فأشرفنا على ما حوله من السهول الشاسعة . رأينا في
شرقنا « الفرات » ينساب عن بعد حاملاً مياه بلاد الترك والكرد الى ثغور العراق
والخليج الفارسي وفي شمالنا بلدة « منبج » نندب مجدها القديم وحولها هضبات متسلسلة
حتى نهر « الساجور » احد فروع الفرات وماوراءه من تحوم تركيا الحديثة . وشاهدنا
في الغرب قرى بني تائف وبزاة الشهيرتين في تاريخ الاسرائيليين والصليبيين وقد علمنا
أكمة قام فوقها مسجد ذو أذنة عالية باسم احد الصالحاء المسمى « الشيخ عقيل » .
ورقمنا في الجنوب براري وفيافي تضيق بعد حين في الأفق الغارب في بادية الشام .

يجي ذكرى اولئك الرجال العظام فننمش في السماء ارواحهم ، ولنبعث من التراب
أجسامهم ، عمل عظيم يحققه السعي والدؤوب ، والله المستعان .

عضو المجمع العلمي

الدكتور احمد الحكيم

مغارة ام السرج

لا أغادر في سياحاتي البحث عن الآثار القديمة والمشاهد الطبيعية . وذلك
توصلاً لا كتناء غوامض التاريخ والجغرافيا اللذين لا يزال كثير من أوابدهما في بلادنا
محتاجاً للتحقيق . وبينما كنت ألتجول في قضاء منبج « شمالي شرقي حلب » خلال شهر
تموز ١٩٢٦ ذكر لي ان هنالك مغاور تخلب الالباب بعظمتها ودقة صنعها وغرابة
منظرها . ولما كنت قد زرت في القسطنطينية مغارة (كوجك كچكجه) احدى
محطات سكة حديد الروملي ورأيت ما حوته من الآثار الجيولوجية البديعة أملت
ان أشاهد ما يشبهها في المغاور التي ذكرت لي فأسرعت الى زيارتها . وهي تبعد عن
منبج نحو ١٤ كيلومتراً الى الجنوب وعن حلب ٨٨ كيلومتراً الى الشرق .

استصحب من القرية القريبة للمغاور واسمها « مقبله حسن اغا » أدلاء ومصابيح .
فسرنا نراقي جبلاً مستطيل الشكل يمتد من الغرب الى الشرق . وبعد ان سرنا
نصف ساعة وصلنا الى ذروته فأشرفنا على ما حوله من السهول الشاسعة . رأينا في
شرقنا « الفرات » ينساب عن بعد حاملاً مياه بلاد الترك والكرد الى ثغور العراق
والخليج الفارسي وفي شمالنا بلدة « منبج » نندب مجدها القديم وحولها هضبات متسلسلة
حتى نهر « الساجور » احد فروع الفرات وماوراءه من تحوم تركيا الحديثة . وشاهدنا
في الغرب قرى بني تائف وبزاة الشهيرتين في تاريخ الاسرائيليين والصليبيين وقد علمنا
أكمة قام فوقها مسجد ذو أذنة عالية باسم احد الصالحاء المسمى « الشيخ عقيل » .
ورقمنا في الجنوب براري وفيافي تضيق بعد حين في الأفق الغارب في بادية الشام .

في ذروة هذا الجبل المطل على تلك المناظر الجميلة والمحفوفة بذكريات عريقة في
 قدم التاريخ استقبلنا شقاً كثير الطول والعرض ، قد نقر في الصخر كما نقر أحاديث
 السكك الحديدية في أيامنا ، وجعل على ما يظهر منفذاً لما بعده نقف فيه الحراس ،
 ونحول دون تحطيط الغرباء منه ، فبعد أن عبرنا الشق دوت عائق انتبهنا الى وسط
 ساحة فسيحة تحيط بها جدران عالية من الصخر الابيض ، نُقرت فيها كهوف منتظمة
 بعضها بجانب بعض ، وهي تشبه باسطانها حوائت الأسواق في المدن ، وربما كانت
 خاصة بشراء الحاجات وببيعها من سكان المغائر التي نحن بصدد ها . وبعد أن اجتزنا
 الساحة أشرقنا على أعظم المغارات وأجلها شأنًا وهي المسماة « مغارة أم السرج » .
 سميت بذلك لان شدة ظلامها تجعل استعمال السرج فيها لازمة . وفوهة هذه المغارة
 واسعة بقطر خمسة عشر متراً مثلت جلاميد الصفور المتكسرة والمتدرجة من سقف
 الفوهة وقمة الجبل . وقد تشعبت هناك باب المغارة وردم درجها بأسمه فأصبح النازل
 محتاجاً للزحف على أليفيه تارة والاستمسك بهذا وذلك من الاجرار تارة أخرى .

انحدرنا من الفوهة على النحو الذي ذكرته مقدار خمسين متراً الى أن وصلنا الى
 مستوى المغارة حيث قل النور وأرضى الظلام سدوله . فأضاء الادلاء المصابيح
 وساروا أمامنا وتبعناهم نفوسنا على المعنى التي حملناها ونمكس الجدران بأيدينا وأخذنا
 نجتاز مضائق ومعاطف ونجتاز مخارم وفجائبا ونصادف أقباء عظيمة وأهباء واسعة .
 وكل ذلك محفور في الصخر وآثار الحفر ونقر الامشاط والمطارق والأزاميل بارزة
 تكاد تظن ان الحجارين والنحاتين قد انتهوا من اعمالهم وخرجوا في تلك الساعة .
 وتجدد في وسط الجدران كلها كوات صغيرة بعضها فوق بعض تمتد من الارض الى
 السقف ، وهي تشبه ما يعمل في جدران الآبار لوضع الارجل اثناء الصعود والنزول
 اليها وتجدد في محلات عديدة ايضاً كوات اكبر منها لوضع السرج او المصابيح ولا تزال
 آثار الدخان ظاهرة فيها حتى الآن .

وقد وجدت سعة كل بهو لا تقل عن استيعاب مائتي شخص او اكثر ، كانوا
 يجتمعون فيها على ما يظهر لاستماع الخطب والخطبات الدينية والمساولة في امور مهمة .
 ذلك لان بعض الاهباء يحوي في صدره مقاعد ومصابيح منقورة في الجدران جعلت

الجلوس على القوم ، وفوق الجميع مقعد كالأريكة كان خاصاً بلقائده او الكاهن
لا كبر سيفه الغالب .

وقد تذكرت وأنا أجوز خلال تلك الدماليز والغيران حالة السائحين اللذين
وصفها الروائي الافرنسي الشهير (جول فرن) في احدي رواياته العلمية المسماة «رحلة
تحت الارض» . فقد دخل السائحان كهفاً في جبال الالب وخطا يسيران في احشاء
الارض ويمتازان أجوافها وسراديبها المظلمة ويشاهدان عجائب تكون طبقات الارض
وأدوارها الجيولوجية الاربعة ، وما حوته أحافير النباتات والحيوانات ، وأجناس
الصخور والمعادن الى ان قدفتها التقدير — بخارفة لا تسعها الا تخيلة الروائيين —
من فوهة بركان جزيرة اسلاندة في أقصى الشمال الغربي من قارة اوروبا . وما كان
قصد (جول فرن) من هذه الرواية الا حمل مطائنها على نفهم دقائق علم الجيولوجية
بهذا الاسلوب اللطيف . شأنه في سائر رواياته التي يبحث في كل منها في احد
العلوم الطبيعية .

ولما بلغ منا التعب والظلمة مبلغه وتمنينا جرعة من الماء صادفنا في احد الاقباء
بئرين ملأين ماءً عذباً بارداً ، شربنا منها وغسلنا الأوجه والأيدي واسترحنا
برهة . وقد حاولنا ان نسير غورهما فلم نوفق لوفرة عمقها . وعذبان البئران من عجب
ما يذكر عن هذه المغارة . ولولاهما لما استطاع صافريها رساكنوها العمل والمقار فيها .
هذا وقد بقينا نحو ساعتين في ذلك الظلام القاتم ندخل في بهو ونخرج من قبو
ونصعد درجاً وننحاز سرداباً ، ولا يستطيع احدنا ان يتبعد عن دليله او رفيقه خشية
الضياع والهلاك . ونحن في أشد الحيرة من عمل اولئك الذين بذلوا الهم السماء في
نقر هذه الصخور الصماء وتمييدها وتقسيمها على هذا النحو في أحشاء هذا الجبل الشاخص
وتحت عمق لا يقل عن ٧٠ — ٨٠ متراً وطول وعرض هائلين لا مجال للتقديرهما .
فكم فرقة من فرق العمال عمات في الحفر وكم الوف من الدنانير أنفقوها في هذه السبيل ؟
ذلك ما كنت افكر به ولا اصل الى حله .

ومن الغريب انني رغم لتحقيقي والنفيتش في الجدران والسقوف لم اعثر على اثر
لكتابة او نقش او رسم لاستدل منه على سبب حفر هذه المغارة الهائلة وتاريخها

واسم ساكنيتها وحافريها الاقدمين . ولا على شيء من العلام الجيولوجية كما حافير النباتات والحيوانات واعمد السنتلاكتيت والسنتلاكتيت التي توجد عادة في اشباه هذه الكهوف — اذا كانت طبيعية — ولم أجد معنى لدفن هؤلاء الناس انفسهم في هذه الهوة السحيقة ومكوثهم في هذه الاقباء والغيران المدطمة الرطبة . الا ان يكون ذلك لغرض ديني او سياسي ، فهم اما كانوا يستعملونها كمعبد خفي يقيمون فيه شعائر ديانتهم السرية بدليل وجود المصاطب والارائك التي ذكرتها . واما انهم كانوا يتخذونها حصناً لمجوؤن اليه عند إحاطة الاعداء بمدبنتهم التي يشاهد بعض طولها خارج المغارة وعلى السفح الجنوبي للجبل . او انهم كانوا يسجنون فيها من غضبت عليه ملوكهم او كهانهم او وقع اثناء الحروب في قبضتهم فيعتقلون السجناء او الاسرى في هذه الظلمة والرطوبة اللتين تهمان اشد الابدان قوة وصحة .

ولم تحرم هذه المغارة العجيبة من سكنى الاحياء والاستئناس بهم . فقد كنا نصادف الوفاء من الخفافيش المعتادة حياة الظلمة والرطوبة جاثمة على الجدران والصخور ، وشاهدنا زرقها الذي ظل يتراكم منذ مئات من السنين فأصبح اكواماً كالبيادر . وقد افهمت القرويين الذين رافقوني منافع هذا الزرق وانه من انفع الاسمدة المؤدية لخصب الارض وان الاوربيين يستعملون مثيله من جزر اميركا الجنوبية ويدعونه (غوانو) وبيبعونه حتى — في بيروت بأغلى الاثمان ، ونصحتهم بان يخرجوا منه ما يكفيهم ويسمدوا حقولهم وكرومهم فوعدوني بالايجاب .

هذا وما زلنا في صعود وهبوط ودخول وخروج حتى أعيننا وخشيننا ان نصل الى فوهة بركان قد لا يرحمنا كما رحم سائح رواية (جول فون) فلا يقدفنا سالمين . لاسيما وقد اخذت منا قشعريرة الرطوبة في تلك الكهوف الظلماء كل مأخذ فاكشفنا بما رأيناه وعدنا أدراجنا الى فوهة المغارة وشرعنا بالصعود رويداً رويداً نستعين باليدين والرجلين الى ان من الله علينا بالوصول الى سطح الارض ورؤية النور والشمس فالتصبتنا لنفض عنا آثار حياة الآخرة وبهني بعضنا بعضاً بالسلامة .

وقد ظهر ان الذي أعان القوم على الحفر والنقب هو لين الحجر الذي يتكون منه الجبل لانه من الصخور الطباشيرية البيضاء المنتسبة للدور الثلاثي من ادوار الجيولوجيا .

ولو كان من الصخور البركانية كالبنزالت الاسود لما استطاعوا الى ذلك سبيلاً . على ان اين هذا الصخر جعله بحيث يثأثر على كرا الاحقاب بفعل العوامل الطبيعية من حر وقر ، ولذا ترى السيول تصدعه وتجزئه رويداً رويداً . وهذا ما جعلني ارى في اكثر الافباء جلاميد عظيمة ساقطة من اعلى السقوف او الجدران وقد سدت بعض الافباء والدهاليز او شعثت الدروب .

ثم ان الادلاء قادوني الى مغارة ثانية اصغر من الاولى بكثير ، وفيها ماء عذب يرشح من نبع من سقفها ويسيل بلا انقطاع القطرة بلو القطرة ، وقد وضع الافدمون في موضع سقوطه على الارض جرناً تجتمع القطرات فيه فيتمكون منها كمية من الماء تكفي لشرب عشرات من الرجال . وقادوني الى مغارة ثالثة فيها سرداب قليل العمق ينبع من جداره ماء عذب ، حفروا له حوضاً كانوا يستقون منه عند الملزوم . ولا يزال رعاة الغنم والابل السائمة في هذه الجبال وبعض الاشراخار بين من يد الفضاء يلجئون احياناً الى هاتين المغارتين ويتمنون بمياههما .

وقد سألت الادلاء وصاحب القرية القريبة ان يقربهم الى المغارة عما اذا كان دخلها قبلي احد من مفكري السلاسل او من السياح الاوربيين فاجابوني عن الاولين بالسلب وعن الثانيين انه لم يزرها الا سائحان لانيان قبل الحرب العالمية ذهبا على امل الرجوع للبحث والتنقيب فيها فخال الحرب دون عزمهما . وذكروا خرافة عن سائح مغربي قالوا انه قرأ وعرف في بلاده في احد لاسفار القديمة خبر مغارة ام السرج وعلم بانها تحوي كنزاً عظيماً فجاء اليها واستمتع ادلاء من القرية ولكنه لما وصل بعد البحث والتنقيب الطويلين الى باب الكنز وحاول فتحه هوت صخرة عظيمة من سقف القاعة فسدته . ولما عجز عن زحزحتها او تحطيمها رجع خائباً .

وبعد مغادرتي تلك الربوع راجعت كتب التاريخ والآثار التي تبحث عن الديار الحلبية فلم اجد ذكراً لضافتي سوى بهات موجز لما كانت عليه بلدة منبج او (Hiérapolis) من العمرات والرقى في العصور القديمة والمتوسطة . قال « ايزامبر » و « شوفه » مؤلفا كتاب دليل الشرق (Itinéraire de l'Orient) ما ملخصه : ان السريانين كانوا يسمون منبج « مابوج » ثم جاء اليونانيون فدعوها

هيرا بوليس اي (البلدة المقدسة) لانها كانت العاصمة الدينية لكل بلاد الآراميين .
فقد ذكر المؤرخ (لوسيان) ان هيكلا كان من أنعم الهياكل وأغناها في تلك العصور
ومن أكثرها حظوة باحتفال الأعياد والمواسم . وكانت هذا الهيكل مخصصاً للآلات
« ربة » سورية التي دعاها المؤرخ سترابون (آترا كاتيس) . وكان صنع هذه الآلات
مثالاً راكبة على مركبة تجرها الاسود وفي يدها آلة موسيقية وعلى رأسها التاج .
وكانت منبج قديماً بلدة حصينة ، لان كبحسرو لما هاجمها وجدها محاطة بأسوار منيعة
لم يستطع اقتحامها فاكفى بمطالبة اهلهما بجزية قدرها ثلاثة آلاف دينار فضي .
وكان باب هذه الأسوار في الجهة الغربية ، وأمام الباب بحيرة وسبعة وجد فيها المؤرخ
« لوسيان » سمكاً مقدساً لدى النجيين ورأى في وسط البحيرة هيكلاً من الرخام
يمثل ربة السمك وذكر انهم كانوا في أيام الأعياد والمواسم ينقلون جميع اصنام آرباهم
ويصفونها حول هذه البحيرة ويقيمون حفلاتهم الدينية ويرقصون ويغنون النشيد .

واليك ما ذكره الباحث الاسلامي (جليل) عن مدينة سمرقند في ما يلي
اوائل القرن السابع . فبني في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ
سور عتيق تمتد على طول نهرها من الشمال الى الجنوب . في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ
عليه ، نهارها يندى حلة ، ويتنبت في كل سنة في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ
ملئمة الاشجار مختلفة الثمار ، والماء يطرد فيها في كل سنة في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ
بأبار معينة ، شهيدة العذوبة ، سلسبيلية المذاق ، تكوّن في كل سنة في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ في سنة ١٠٠٠ هـ
والبساتين واراضها ارض كريمة تستنبط مياهها كلها وأسواقها وسككها فسيحة متسعة
ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والغازن اتساعاً وكبراً ، واعالي سوقها مسقوفة ،
وعلى هذا الترتيب أسواق اكثر مدن هذه الجهات . لكن هذه البلدة تعاقبت عليها
الأحقاب حتي اخذ منها الخراب كانت من مدن الروم العتيقة ولم فيها من البناء آثار
تدل على عظم اعنائهم بها ولها قلعة حصينة في جوفها تنقطع عنها وتخازن منها الخ .
فبلدة مقدسة هذه حالتها في تلك العصور من الرفه والعمرات لا يبعد ان يقوم
سكانها ويحفروا على مقربة منهم هذه المغاور التي وصفها ويتخذونها امامعبداً او حصناً
او معقلاً . هذا اذا لم يكونوا جعلوها مدفناً لعظمتائهم او مذكراً لكنوزهم ودفائنهم

التي لم يسعدني الحظ بالعثور عليها ويا للأسف . ولعله يقوم غيري من ارباب الولع
او يأتي امثال اللورد كارنارفون فيبذل من المتاعب والنفقات ما عسى ان يوصله
لما يشبه كنوز « توت عنخ آمون » وكل مفعول جائز . المهندس الزراعي
وصفي زكريا

—••••—

مطبوعات حديثة

مذكرات تاريخية

« لأحد كتب الحكومة المنشورة في مصر الخوري تسطنطين الباشا »

« مذكرات مؤرخة » من راس الي « حرسا (لبنان) ص ٢٥٥ »

تبدأ هذه المذكرات سنة ١٨٦٠م بمقتضى سليم باشا وائي دمشق وتنتهي بسنة
١٩٠٠م (١٣١٩هـ) تناول رفقها فيها الكلام على حوادث دمشق قبل مجي المصريين
ثم فتح ابراهيم باشا الشام وما تجلله من الحروب والثورات حتى عاد الى مصر ورجعت
تركيا الى القبض على زمام الامر في الشام . وفيه تفصيل مقتل البادري توما كما
سمعها كاتب المفكرات من ألسن الجمهور . وجميع هذه المفكرات مشبعة بروح العامية
ومكتوبة بلهجة عامية . وكان على الناشر ان يرجعها الى العربية الصحيحة كما عن لها
وعلق حواشيها . وبعض الحواشي لا علاقة له بالموضوع . وكنا نتنى ان يصوب
الناشر قلمه عن تسطير ماسطره في مقدمته مما يشير الحفاظ ويلقي بذور البغضاء في زمن
أشد ما تكون هذه الامة الى التعاطف والتآلف . والمتصف يجب ان يبحث عن القاتل
كيف قتل وعن المقتول كيف قُتل . وليست حزازات النفوس والاغراض الطائفية
من التاريخ الحقيقي في شيء .

م . ك

التي لم يسعدني الحظ بالعثور عليها ويا للأسف . ولعله يقوم غيري من ارباب الولع
او يأتي امثال اللورد كارنارفون فيبذل من المتاعب والنفقات ما عسى ان يوصله
لما يشبه كنوز « توت عنخ آمون » وكل مفعول جائز . المهندس الزراعي
وصفي زكريا

—•••—

مطبوعات حديثة

« مذكريات تاريخية »

« لأحد كتب الحكومة المنشورة في مصر الخوري تسطنطين الباشا »

« مذكريات مؤرخة » من قبل « ريس » (لبنان) ص ٢٥٥

تبدأ هذه المذكريات سنة ١٨٦٠م بمقتضى ما كتبه سليم باشا واني دمشق وتنتهي بسنة
١٩٠٠م (١٣١٩هـ) تناول رفقها فيها الكلام على حوادث دمشق قبل مجي المصريين
ثم فتح ابراهيم باشا الشام وما تجلله من الحروب والثورات حتى عاد الى مصر ورجعت
تركيا الى القبض على زمام الامر في الشام . وفيه تفصيل مقتل البادري توما كما
سمعا كاتب المفكرات من ألسن الجمهور . وجميع هذه المفكرات مشبعة بروح العامية
ومكتوبة بلهجة عامية . وكان على الناشر ان يرجعها الى العربية الصحيحة كما عن لها
وعلق حواشيها . وبعض الحواشي لا علاقة له بالموضوع . وكنا نتنى ان يصون
الناشر قلعه عن تسطير ماسطره في مقدمته مما يثير الحفاظ ويلقي بذور البغضاء في زمن
أشد ما تكون هذه الامة الى التعاطف والتآلف . والمتصف يجب ان يبحث عن القاتل
كيف قتل وعن المقتول كيف قُتل . وليست حزازات النفوس والاغراض الطائفية
من التاريخ الحقيقي في شيء .

م . ك

تاريخ الكويت

« تأليف السيد عبد العزيز الرشيد طبع في المطبعة العصرية في بغداد »
 « ١٩٢٦ - ١٣٤٤ و ٤٥ : ج١ الأول ٢٣٦ ص والثاني ٢٦٣ ص »
 « مع الرسوم »

هو أول تاريخ من نوعه في هذه الإمارة العربية جرد فيه مؤلفه الفاضل موضوعاته فذكر الكويت وتاريخها وحالتها الطبيعية ومساجدها وقراها وآثارها ومواردها وصناعاتها ومدارسها وحركاتها العلمية وعاداتها وأخلاقها وأدبائها وشعراءها وتاريخ امرائها آل صباح ونسبهم وسياسة الدولة الحجازية لهم إلى غير ذلك مما فيه فوائد جميلة كتبت بالخط الورقة وفصاحة يشكر عليها . الا اننا أخذنا على المؤلف تعرضه في كتابه الفافع إلى مسائل لا شأن لها به مع تاريخ مثل هذا يكتب للجيل الحاضر والجيل القادم مثل مسألة حراشي مثلاً فانها من المسائل التي يحدث مثلها في كل بلد وليست جديرة بالتدوين وتدونتها هو غايه ما يرمى اليه هذا الرجل كما ان هناك اشعاراً ليست جديرة كتابها بالندم من كان عليه ان يكتب في بابها قليلة منها او يتركها دفعة واحدة فزجها للتاريخ من ذلك .

وقد ذكر المؤلف ان الكويت لم تكن عامرة قبل ان ينزلها امرؤها من آل الصباح (واميرها الشيخ احمد بن جابر آل الصباح) وآل سعود وآل خليفة وهم من قبيلة عنزة ولا يقل عهدهم فيها عن مئتي سنة فعمروها بالشجر وكانت اكواخاً حقيرة فتديروها . والكويت تصغير كوت والكويت كلمة متهارفة في العراقي ونجد وما جاورها من البلاد العربية وبعض بلاد العجم تطلق على البيت المربع المنبني كالحصن والقلعة وغيرها مما يبنى لحاجة ويبنى حوله بيوت صفار ويكون ذلك البيت فرضة للسفن والبواخر ترسو عنده ولا يطلق الا على ما كان قريباً من الماء بجزراً كان او نهراً او بحيرة او مستنقعا وتقوس الكويت اليوم ٨٠ الفاً .

م . ك

بلوغ الارب

« في معرفة أحوال العرب »

لم يشتهر في مصنفات عصرنا كهذا المصنف : وذلك لمكانة مؤلفه علامة العراق
المرحوم السيد محمود شكركي الالوسي من جهة . ولاحتياج الامة العربية اليه في
نهضتها الحاضرة من جهة ثانية . ومما زاده اشتهاراً . ورفع له في عالم التصنيف منارا .
أنه أنف بناء على اقتراح ملك أسوج . وبعد إتمامه وتقدمه اليه نال جائزة من لجنة
الألسنة الشرقية في استوكهلم . وكانت هذا الكتاب طبع في بغداد حين صدوره
سنة ١٣١٤ لكن طبعه لم يكن بالمتقن فانبرى له الاستاذ السيد محمد بهجت الأثري
بناء على امر أستاذه مؤلف الكتاب فأعاد تأليفه ونظرو وصيحه وضبطه وعلق عليه في
ذيل الصفحات مالم يلق وشوامش لغوية وثارضية غاية في الفائدة والأمتاع . وقد قام
بنشره وطبعه السيد محمد جمال صاحب المطبعة الأهلية بمصر فوقع في ثلاثة أجزاء
أعدها الى مجعنا العالمي . وقد بلغت صفحات الأجزاء الثلاثة زهاء ٢٠٠ صفحة واجتهد
الناسر الموما اليه في خدمة الكتاب على الطريقة الحديثة فألحق في آخر كل جزء
ثلاثة فهرس : فهرس ما اشتمل على الكتاب . وفهرس لاسماء الرجال والنساء والفهرس
الثالث لاسماء البلدان والقبائل وغيرها . أما محتويات الأجزاء فظاهرة من اسم
الكتاب : فإن مؤلفه العلامة جمع فيه أسفار العرب وأديانهم وعاداتهم وخرافاتهم
وحرورهم وكل ما بهم الأديب والمؤرخ معروفه من امورهم فهو دائرة معارف
لجالية العرب جمعت شتاتها واستوعبت ما تفرق منها فجزي الله مؤلف هذا الكتاب
خيراً وأحسن كل الاعجاب الى الفاضلين مصححه وناشره . « المغربي »

— وبعثوا به —

هدايا كتب للجميع

أعدي السيد محمد جمال صاحب المكتبة الاعلية بمصر طائفة من الكتب الى
مجعنا العلمي وبعض هذه الكتب مما طبعه هو وبعضها مما طبع على نفقة غيره :
(١) كتاب « غلطة الناشئين » في تربية الأحداث وطبع نفوسهم بطابع الأخلاق

الفاضلة . وهو للاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني الغني بشهرته عن التعريف . وهذه الطبعة هي الطبعة الثانية للكتاب مضبوطة بالشكل . وفي ذيل صفحاتها هوامش وتعليقات ذات بال وهو في زهاء ٢٠٠ صفحة .

(٢) كتاب « بلاغة العرب في القرن العشرين » للأديب الفاضل السيد محيي الدين رضا ضمنه شذرات وأشعاراً مختارة من أقلام بلغاء العرب في اميركا (كبران والريحاني وغيرهما) . وهو ايضاً الطبعة الثانية للكتاب منقحة ومزدانة ببعض الرسوم وتبلغ صفحاته الثلاثمائة صفحة .

(٣) كتاب « دروس التاريخ الاسلامي » من تصنيف المرحوم الشيخ محيي الدين الخطاط وهو القسم الخامس من الكتاب يشتمل على مجمل تاريخ الدول الاسلامية في الاندلس وعلى اجمال تاريخ ابقية الدول الاسلامية الصغرى . وهذا الكتاب في نحو ٢٥٠ صفحة .

(٤) كتاب « اخلاقه ونظامها » بقلم الفاضل السيد امين الخرباب صاحب مجلة الحارس وهو مما أهده مجلته الى قرائها في بعض اعمامها . وتبدأ بأبواب سيئة هذا التأليف علاقة كل أجزاء الوجود بعضها ببعض وهو في نحو (١٢٠) صفحة حسنة الطبع والتبويب .

(٥) « ميزان النفس » كتيب صغير أدبي أخلاقي ترجمه عن الانكليزية بتصرف قليل الأديب السيد توفيق زريق . وهو طبعة ثانية منقحة تبلغ صفحاته (٧٤) صفحة .

(٦) « لباب الخيار في سيرة النبي المختار » كتاب مدرسي في السيرة النبوية من تصنيف الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني . وهي طبعة ثالثة مضبوطة بالشكل ومخدومة بالتعليق تبلغ صفحاتها (١٤٠) صفحة .

(٧) « الاسلام روح المدنية » او « الاسلام وكروم » من تصنيف الاستاذ الغلاييني ايضاً . ضمنه الرد على اللورد كرومر فيما مس به الاسلام في كتابه (مصر الحديثة) وأهم مواضع الكتاب البحث في (المدنية الاسلامية) و (التعصب في الاسلام) و (الرق في الاسلام) و (المرأة في الاسلام) و (خاتمة) حقق فيها

ان الدعوة حياة الأدبانت وهي الطبعة الثانية للكتاب مضبوطة ومصححة وتبلغ صفحاتها المائتين والاربعين صفحة .
هذه هي الكتب التي أهدها الى مكتبتنا السيد محمد جمال فاستحق بذلك الشكر والثناء .

كتب ورسائل مختلفة

- (١) فيرس عمومي للكتب القديمة والحديثة في مكتبة السيد يوسف اليان سركيس واولاده بمصر عن سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٧ .
- (٢) المجموعة السنوية لغرفة تجارة حلب طبعت في المطبعة المارونية بحلب سنة ١٩٢٥ باللغتين العربية والفرنسية .
- (٣) كراسة للاستاذ (كاميلير) فيه ترجمة بعض شعراء دمشق وشيخ من شعرهم مع ترجمة بعضها الى الالمانية .
- (٤) قرارات حكومة اتحاد الدول السورية عن سنة ١٩٢٤ طبع في مطابع قوزما في دمشق وبيروت في جزئين باللغتين العربية والفرنسية الاول في ٢٩٩ صفحة والثاني في مثله من الملاحظات .
- (٥) « درس مؤلم » مجموعة قصص . تأليف السيد شحاته عبيد طبعت في مطبعة السفور بمصر في ١٦٨ ص .
- (٦) « ثريا » مجموعة قصص تأليف السيد عيسى عبيد مؤلف (احسان هانم) طبعت بمطبعة رعمسيس بمصر في ١٦٢ ص .
- (٧) « النبي » للسيد جبران خليل جبران تعريب الارشمنديريت انطونيوس بشير عتي بشره السيد يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب وطبع في المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٦ في ١٢٠ ص وقد ألحق به ملحق في ٣٥ ص من تعريب العرب الموما اليه وفي الموضوع نفسه وتحليل روح المؤلف .
- (٨) ثلاث رسائل (١) مقالة « كلاً » وما جاء منها في كتاب الله لابن فارس